١٠٢٥
دار النحاس

روايات

Harlequin

البطل الثمين

ريبيكا وينترز

Just Faith
www.Rewity.com

البطل الطليق
ريبيكا ونترز

لقد شاركت في إدانته... ولكن، هل كان بريئاً؟ كانت أندريا مايرز أحد أعضاء هيئة المحلّفين الذين أدانوا سمسار الأسهم المالية البارز في ولاية نيومكسيكو، لوكاس هاستينغز، بالاحتيال على زبائنه. ومع ذلك، لم تسترح البتة، لهذه الإدانة، لأن ملف الادعاء كان محبوكاً بصورة تثير الشك. وأندريا كراعية كنيسة، تميل إلى الإيمان بمحاسن الناس... لا بمساوئهم.

توجه لوك مباشرة، بعد اطلاق سراحه من السجن، إلى الكنيسة التي ترعاها أندريا. وكان سبب قدومه، هو انجذابهما لبعضهما البعض بصورة صارخة. عاطفة خطرة لا مستقبل لها... على أي حال. ما هو القاسم المشترك الذي يجمع كاهنة كرّست حياتها للكنيسة التي أصبحت عائلتها، امرأة ترعرعت في البؤس وصمدت تجاهه، مع رجل مثل لوكاس هاستينغز؟ رجل وُلد وترعرع في العز والثراء. رجل ساعدت على وضعه في السجن.

Just Faith
www.Rewity.com

«خلال تلك المحاكمة، أنا راقبتك، وأنتِ راقبتني...»

أخفض صوته واستطرد: «أرى أنك تهزين رأسك ناكرة ذلك. لقد كنا نزداد معرفة ببعضنا البعض، يوماً بعد يوم.»

«ما هذا الهراء!»

لكن لوك استمر في الكلام: «لقد أدركت من البداية، أنهم أوقعوا بي، وأني على الأرجح سأخسر القضية، ولهذا وجدت نفسي أحلم بك، بأن أكلمك، أغمرك وألمسك. أحلم بما حصل عندما عانقتني بطريقة قد يدفع الرجل حياته ثمناً لذلك.»

فغرت أندريا فاها وهي تسمع كلماته. هل باستطاعته قراءة أفكارها؟ لقد وصف لتوه مشاعرها وردة فعلها. ولكنها لم تتجرأ على الاعتراف بذلك. بدلاً من ذلك أجابته: «أعتقد أن السجن قد أفقدك الرؤية على تفسير ما حصل.»

«بخلاف ذلك، إن رؤيتي لأمور كثيرة، أصبحت أوضح.»

«ما الذي تريده يا سيد هاستينغز؟»

«نادِني لوك، وأنت تعرفين تماماً ماذا أريد، يا أندريا.»

الفصل الأول

«ليقف الجميع.» نادى حاجب المحكمة، فيما أندريا مايرز، آخر المحلفين الاثني عشر، كانت تدخل قاعة المحكمة وتنظر بعينيها الأرجوانيتين إلى المتهم الجالس بجانب محاميه. تداول المحلّفون بقضية المتهم لأربع ساعات خلت، لأن القرار بإدانته يجب أن يأتي بالاجماع. بدت هذه الساعات، بالنسبة للرجل الذي سيتقرر مصيره أطول من سنين. برغم أن الاثباتات المادية ضده كانت قاطعة، لم تشعر أندريا بقلبها أن الرجل مذنب. ربما لكونها وجدت صعوبة في إدانته لأنها تكرست راعية كنيسة وتكره أن تدين أحداً. تحفظاتها، التي لم تكن مبنية على برهان مادي، أخّرت المداولة ساعتين وأزعجت باقي المحلّفين.

«جلوس!» استدار القاضي ذو الشعر الأبيض على كرسيه ليواجه المحلّفين. «هل توصلت هيئة المحلّفين إلى قرار؟»

وقف الناطق باسم المحلّفين وأجاب: «أجل حضرة القاضي، لقد فعلنا.»

وجدت أندريا نفسها تتفحص المتهم ثانية، كما فعلت مراراً خلال أيام المحاكمة العشرة. كان مظهره مميزاً بين الحضور في قاعة المحكمة بجسمه الطويل المتناسق وهيبته البادية على وجهه، وشكّل شعره الداكن المصفف إلى الجانب إطاراً لوجهه الأرستقراطي بأنفه المستقيم ووجنتيه المحددتين. في الخامسة والثلاثين من عمره، بدا مثالاً لمرتادي وول ستريت.

حي المال في نيويورك، المهذبين، مرتدياً بأناقة بدلته الغالية الثمن. قالت أندريا في سرها، لو أن هذا الرجل يبتسم لبدا أكثر الرجال وسامة ممن قابلتهم في حياتها.

«لقد وجدنا المتهم لوكاس هاستينغز مذنباً.»

دوت صرخة من امرأة أنيقة الملبس كانت تقف في آخر القاعة ووصلت إلى أسماع أندريا، قبل أن تعم الفوضى المكان. لم تشاهدها أندريا منذ اليوم الأول للمحاكمة. لم يكن المتهم متزوجاً ولكن أندريا افترضت أن المرأة صديقة مقربة منه. لو كانت أندريا في مكانها، لربما وجدت أن حضور المحاكمة يوماً بعد يوم مؤلم جداً.

ضرب القاضي بمطرقته على الطاولة. «التزموا الهدوء في قاعة المحكمة.» وعندما خيم الصمت قال: «سيد هاستينغز، سوف نستمر بقبول الكفالة المالية ونطلق سراحك حتى يوم اصدار الحكم عليك. أو، إذا شئت، تستغني عن ذلك وتطلب اصدار الحكم اليوم.»

قفز محامي الدفاع واقفاً وقال: «نرغب في اعطائنا وقتاً قبل إعطاء الحكم، ونقترح ستة أسابيع من الآن...»

لم يستطع المحامي إنهاء مرافعته. فقد سحبه موكله من يده وأخذ بمناقشته بسرية.

حدق المحامي في موكله مندهشاً، ثم استدار نحو القاضي متابعاً: «سيدي، حضرة القاضي، إن موكلي يرغب في اصدار الحكم عليه الآن.»

«حسناً يا سيد هاستينغز، هل اقتربت مع محاميك من المنصة، وقفا في حضرتي.»

من دون قدرة على إشاحة نظرها، راقبت أندريا الغشاوة

التي غطت وجه المتهم وأخفت كل التعابير عليه. وقف بسهولة ولم يظهر عليه القلق أو التشنج. كيف يمكن لأي شخص، يواجه الحكم بجناية رئيسية، أن يبدو واثقاً من نفسه بتحدٍ... وبتمرد... بظروف كهذه؟

وقف في حضرة القاضي مرفوع الرأس معتزاً، ولم تستطع أندريا إلا الاعجاب به.

«قبل أن أنطق بالحكم، يا سيد هاستينغز، هل ترغب بقول أي شيء، الآن؟»

«أستطيع أن أكرر فقط، ما قلته سابقاً. أنا لست مذنباً وآمل أن أستطيع، في يوم ما، إثبات براءتي.»

دوى صوته العميق، الواضح والثابت في قاعة المحكمة، ولكن الأمر الذي أزعج أندريا، كان إعلانه البسيط عن براءته.

لم يجد أي من المحلّفين الآخرين صعوبة في إدانته، ولم تنفع كل تحفظاتها، قبل أن تصوت أخيراً معهم، في تغيير قرارهم. إذاً لماذا ما تزال تشعر بالحزن؟ لماذا هذا الهاجس ببراءته ما يزال يهمس في داخلها برغم البراهين القاطعة؟

لأنك اتهمت مرة بارتكاب فعلة ولم تكوني مذنبة يا أندريا مايرز. لم يصدقها أحد أيضاً، وحطم الحكم عليها قلبها.

برغم الألم الذي سببته لها هذه الحادثة، استطاعت أن تلقي بها وراء ظهرها وتستمر في حياتها. ولكن هذه المحاكمة أيقظت شعورها بالعجز واليأس بوضوح مؤلم. هل هذا هو الشعور الذي يعاني منه لوكاس هاستينغز، في هذه اللحظة؟

كان القاضي قد أمر المحلّفين بأن لا يقرروا إدانته إلا في وجود برهان قاطع. التزمت أندريا بهذه التوجيهات حرفياً، وقد حللت وتفحصت البراهين المقدمة بتمعن علها تجد ثغرة

فيها. كان واقع عدم استطاعتها العثور على برهان في مصلحته، هو الأمر الذي قادها في النهاية للتصويت مع الآخرين على إدانته. ولكنها لم تستطع منع الاحساس العميق بداخلها في أن ملف النيابة العامة كان محبوكاً ومتكاملاً أكثر من اللازم.

أحياناً، لا يعطيك البرهان القاطع القصة الكاملة، وأحياناً يعطيك قصة مختلفة تماماً.

منزعجة من شكوكها التي أتت جذورها من الماضي، صلّت أندريا متمنية أن تكون قد حققت العدل في ما يتعلق بالمتهم. المشكلة هي أن قرار الإدانة لم يشعرها باحقاق العدالة.

نظرت خفية إلى بقية المحلّفين علها ترى على وجوههم أي أثر للصراع الداخلي بشأن شك في صحة القرار. عرفت من التعابير على وجوههم أن رأيهم بقي على حاله.

«سيد هاستينغز.» بدأ القاضي كلامه: «أريدك أن تعلم بأن جريمة الاحتيال والاختلاس في شركة هاستينغز، رادلي وفيانس لبيع الأسهم، الشركة المحترمة والناجحة، التي أنت أحد مالكيها والمؤتمن عليها، تضر بسمعة جميع المؤسسات المالية التي وضع الجمهور ثقته بها. بما أني لا أجد أي مبرر شرعي لتصرفك هذا، فأنا أحكم عليك بالسجن لمدة خمس سنوات في سجن رد بلوف الاتحادي، ولكن في حال كان سلوكك حسناً في السجن، سيطلق سراحك بعد ستة أشهر وتبقى تحت المراقبة، لأنك أعدت الأموال التي اختلستها من ممتلكاتك الخاصة. أعهد بك الآن إلى قوى الأمن المنوطة بنقلك إلى السجن.»

أصيبت أندريا بمغص شديد في معدتها عندما سمعت كلمة

سجن. أرعبتها فكرة البقاء يوماً واحداً وراء القضبان، فكيف بستة أشهر. الأمر الوحيد الذي هدأ من روعها هو أن لوكاس سيرسل إلى سجن ذي احتياطات أمنية خفيفة.

حسب قول بول ياتس، كاهن الرعية في الكنيسة التي تعمل فيها، إن سجن رد بلوف هو مخيم اتحادي، حيث يقضي مرتكبو الجرائم المالية مدة سجنهم، مثل لوكاس هاستينغز... رجال ذوو مراكز هامة، ارتكبوا جرائم التهرب من الضريبة بوسائل احتيالية ويحتاجون للحماية من المجرمين الخطرين المسجونين في سجون، احتياطات الأمن فيها شديدة جداً.

على الأقل، إنه لن يقضي فترة حكمه مع القتلة المتمرسين. لسبب ما لم تستطع أندريا تخيله مسجوناً في المكان نفسه مع هؤلاء، حتى ولو كان خارجاً على القانون.

لم تلاحظ، بسبب استغراقها بالتفكير أنها كانت تحدق في المتهم. وهزها أن تكتشف أن نظرته النافذة التي كانت تحدق إلى القاضي قد تركزت عليها فجأة. لاحظت مراراً خلال فترة المحاكمة أنه كان يحملق بها. تلاقت نظراتهما أكثر من مرة في تبادل أفكار رزين واستطاعت أن تشعر بمزاجه من قراءة التعابير في عينيه، اللتين كانتا تتحولان من النظر والمراقبة إلى التفرس والتقييم.

أصابتها الرجفة هذه المرة. ظنت في لحظة قصيرة، أنها محت ومضة حيرة وألم ممزوجة بالغضب والتحدي. ثم أخذه المحامي جانباً، مما قطع تشابك نظراتهما. وجدت نفسها تساءل ثانية في ما إذا أخذ العدل مجراه، وفي ما إذا أرسل بريء إلى السجن.

ألمتها ردة فعلها، فاستدارت نحو إحدى زميلاتها في هيئة

المحلّفين لتسر لها بمشاعرها. لدهشتها، اكتشفت أن الجميع غادروا قاعة المحكمة، متشوقين للعودة إلى أعمالهم وعائلاتهم. إن عمل المحلّفين يقطع عليهم مسار حياتهم العادية، ولكنه العمل الذي تسير وفقه اجراءات المجتمع القانونية.

ألقت أندريا نظرة خاطفة على لوكاس هاستينغز، ورفّت عيناها بشدة عندما شاهدت الحارس يضع الأصفاد في معصميه. كان هذا قمة المأساة، أن يكبل مثل حيوان قوي ومتوحش وقد اهتاج فجأة وأصبح خطراً. سار إلى خارج المحكمة، مطبق الشفتين مرفوع الرأس، وكأن ما يحدث حوله لا يعنيه بالحقيقة.

حاولت زمرة أشخاص اللحاق به، بينهم بعض شركائه الذين تعهدوا بالاهتمام به وبدا عليهم الحزن والتوتر لما حدث له. لكن محامي الدفاع أوقفهم. استرق لحظة لتعزية المرأة التي جرت في ممر القاعة وتجاهلها المتهم.

انهمرت دموع أندريا وأحست بالحزن الشديد يخترق روحها. ويتكلمون عن التقطع في مسار الحياة! في دقائق تحطم عالم رجل بكامله، وأصاب أصدقاءه بخسارة لا تعوض.

تعرف أندريا تماماً ماهية هذا الوضع. فقبل ثماني سنوات، كانت هي وخطيبها مارك... الشخص الذي كانت تعتمد عليه... يقودان السيارة إلى الكنيسة للاتفاق على حفل زواجهما عندما تجاوزت شاحنة القاطع بين الخطين وارتطمت بسيارتهما.

انهار عالمها في ثوان. لم تكتب النجاة لخطيبها مارك، وما كان يجب أن تعيش أندريا، أيضاً. وتمنت في الشهور اللاحقة لو أنها ماتت. ومع مرور الوقت اعتبرت نجاتها بمثابة معجزة.

وفي الحقيقة، عندما تتأمل مسار حياتها، تدرك أنها سلسلة معجزات تعويضية. هذا الادراك، قادها في آخر المطاف إلى عملها الحالي.

دهشت لتداعي أفكارها بهذا الشكل، أيقظت نفسها من التأمل وهرعت لتخرج من قاعة المحكمة باتجاه موقف السيارات. لقد ابتعدت عشرة أيام عن كل شيء آخر، وكانت متشوقة للعودة إلى متطلبات برنامجها المزدحم، والأعمال المكتبية المتراكمة. العمل كان العلاج الوحيد لهواجسها.

لكن عقلها لم يتوقف عن استرجاع أحداث المحاكمة، وخاصة عندما وقف شريكا لوكاس هاسيتنغز في المحكمة لاعطاء شهادتهما المفحمة، ترددا طوال فترة المحاكمة في إعطاء البرهان الذي بنتيجته أُرسل صديقهما وراء القضبان.

خيل لها أكثر من مرة، احتمال أن شريكيه تآمرا عليه وتبادلا الأدوار في ما بينهما، لكي يخدعا الجميع بقناع من التمثيل الماكر. حدث لها شيء مشابه في الماضي، حين كذب بتبجح، الشخص الوحيد الذي يعرف الحقيقة، وهو الشخص نفسه الذي سبب لها الكابوس، وتركها من دون أي دفاع.

عندما طرحت أندريا هذا الاحتمال أمام بقية المحلّفين، رفضوا تحفظها على أساس أن أياً من شريكي هاسيتنغز لا يجرؤ على مواجهة عقوبة الشهادة الزور. وجب عليها الاقرار بأنهم ربما على صواب. إذا لم يجد محامي الدفاع ثغرة في شهادة شريكي موكله ولم يرتب بهما، فمن يستطيع ذلك؟

الشيء المؤكد لها الآن، هو أنها لن تخدم أبداً في هيئة المحلّفين. عندما يستدعونها في المستقبل ستعتذر على أساس أنها تحمل ضغينة تعصب ضد المتهم. سوف تقول إن

طبيعة عملها تجعلها تؤمن بطيبة الانسان البديهية، ومن جراء ذلك، وفي أكثر من مناسبة، اتخذت قراراتها عاطفياً وحسب ميولها.

وضع مصير لوكاس هاسيتنغز في أيدي المحلّفين. وبالنسبة لأندريا كان القيام بهذا الواجب الأشد إيلاماً لها. وهي لن تتحمل ثانية بأن تأخذ على عاتقها مسؤولية كهذه. مرة واحدة تكفي للعمر كله.

لوّح هواء حزيران الدافىء شعرها الأسود المنسدل على كتفيها فيما كانت تركب سيارتها الصغيرة وتنطلق من وسط المدينة باتجاه الكنيسة المبنية على الطراز الغربي الحديث ذي السقف المغطى بالأعمدة. هرعت، بعد عشر دقائق إلى مكتب بول، متشوقة للبحث معه في مكنونات نفسها. كان راعيها، وإذا كان باستطاعة أحد ما أن يساعدها، فهو ذلك الشخص. كان عنده طريقة خاصة في التأمل بالحياة.

حياها لحظة دخولها عليه وطلب منها الجلوس. برغم الأربعين سنة، فارق السن بينهما، كانت أندريا تشعر بانسجام قوي مع هذا الرجل الأرمل. إنها تعتبره مثل والدها. إنها لم تعرف والديها. ولم تعرف في ما يتعلق بالأبوة، أي شخص عنده عاطفة وقوة شخصية بول. كانت تحبه وتحترمه، وهو بادلها هذا الشعور، ابنه الوحيد، بريت، كان يعمل في اليابان، ومن الواضح أن بول أصبح يعتبرها ولده الثاني.

«يبدو أن المحاكمة انتهت أخيراً، فلماذا تبدين منزعجة؟» سألها في الحال: «أين ابتسامتك المشرقة؟»

«الرجل في طريقه إلى السجن يا بول.»

تبدلت ملامحه. «هل تريدين التحدث عن ذلك؟»

أومأت برأسها إيجاباً فيما ترقرقت الدموع في عينيها. «كان صوتي واحداً من الاثني عشر صوتاً التي أرسلته إلى السجن.»

قال بول بعد لحظة تأمل: «والآن، أنت تعانين من جراء قرارك هذا. ألا يجب أن يتخذ قرار الإدانة بالاجماع؟»

«أجل، بالطبع.»

«وهذا يعني أن كل المحلّفين الآخرين وجدوه مذنباً، أيضاً.»

«هذا صحيح.» مسحت دموعها بمنديل ورقي أخذته عن طاولته.

«ولكني لا أستطيع التوقف عن التفكير في أننا أرسلنا لوكاس إلى السجن بسبب جريمة لم يرتكبها.»

انتصب الكاهن المسن على كرسيه. «أنا غير مندهش لقولك هذا، لأنك كثيراً ما تركت قلبك يتحكم بك.» رفع يداً ليمنعها من مقاطعته وأضاف: «أرجوك لا تأخذي كلامي على محمل الإساءة. إنها نعمة من الله، ولولا أمثالك لكان العالم أسوأ من ذلك بكثير.»

هزت أندريا رأسها وعلى وجهها شبه ابتسامة. «لا شيء تقوله لي، يشعرني بالإساءة.» تعرف أندريا أن بول يتكلم بدبلوماسية ولكنها تعرف أيضاً حقيقة نفسها. لقد اتهمت خلال فترة مراهقتها بارتكاب عمل شنيع كانت بريئة منه. جرح مثل هذا يترك ندوباً، ومنذ ذلك الحين وجدت نفسها دائماً تنصر الضعيف وتقف إلى جانب المظلوم، وتسمح لعواطفها بالتحكم بها. وكانت تدرك أن هذا الميل يؤثر على قابليتها في الحكم على الناس والظروف بصورة دقيقة.

تنهدت أندريا بعمق. «لقد وضعت يدك على جرحي.» واستطردت: «كنت المحلّف الوحيد الذي تحفظ على إدانته، فيما الآخرون اعتبروا القضية واضحة وبسيطة.»

«هذا، لأنك لم ترغبي بإدانته.»

«لا أعرف يا بول، إن الأمر أكثر تعقيداً من مجرد التمني. شيء ما، خلال اجراءات المحاكمة، لم يكن مقنعاً، ولم أستطع وضع اصبعي عليه.» تململت وأضافت: «ماذا لو كان بريئاً؟»

«سيكون الوضع مأساوياً. الحقيقة المرة هي أنه ليس بأول رجل يذهب إلى السجن لجريمة لم يرتكبها. على أي حال، لو كان حقاً بريئاً، فقد فات الوقت على عمل أي شيء.»

«ولكن ماذا عنه؟ لو كنت في قاعة المحكمة وشاهدته يقول إنه بريء، لهز مشاعرك أيضاً.»

«أنا لا أشك بذلك. ولكن الحقيقة تبقى، لقد أدين بالجرم بسبب البرهان القاطع ضده. ومن المنطقي أن نفترض أنك لم تخطئي في الحكم عليه. تذكري أيضاً، أن معظم الناس الذين يُتّهمون بارتكاب جريمة، ينكرون تورطهم بها. الكبرياء المزيفة، سبب ذلك، ولا أحد خالٍ من كل عيب. لا هو ولا أنا ولا أنت.»

همست: «أجل، بالطبع. أنت على حق.»

«أتمنى لو كان باستطاعتي المساعدة، ويبدو أن لا علاج لحيرتك إلا الصلاة والوقت. أنت تحملين نفسك بلا طائل، ما لا تستطيعين سبيلاً إليه.»

«أعرف ذلك.»

«أندريا...» ركز نظره على عينيها. «... اذهبي إلى البيت واستريحي. هذا ما كنت أقول لكونستانس عندما تشعر

بالحزن. أخذت بنصيحتي في معظم الأحيان وعادت إلى البيت بعد ساعات وقد ابتاعت ثوباً جديداً أو زوجاً من الأحذية وعلت وجهها الاشراقة.»

وقفت أندريا وهرعت لتعانقه. «شكراً لاستماعك لي وللنصيحة. سوف أذهب الآن إلى البيت، وأراك لاحقاً يا بول.»

توجهت بعد مغادرتها الكنيسة إلى شقتها الواقعة في منطقة سكنية متواضعة من البوكركي. ربما، يوماً ما، بعد أن توفر ما يكفي، تستطيع شراء منزل صغير. ولكن ذلك يحتاج إلى سنوات.

حالما أوقفت سيارتها بجانب الرصيف، شاهدت أندريا مالكة الشقة مايبل جونز، تقف في الساحة الأمامية ومحاطة بخميلات من الأزهار. هذا يعني أن أندريا لن تستطيع أن تمر إلى شقتها من دون أن تواجه سيلاً من الأسئلة. الأرملة المتوسطة العمر كانت وحيدة وتتمتع بنقل الأخبار، الأمر الذي تعمل أندريا ما بوسعها لتجنبه.

إنها تشعر في هذه اللحظة بالارهاق ولا ترغب بالتكلم مع أحد، وخاصة مايبل الفضولية. في أي حال، فات الأوان على الابتعاد لأن مايبل شاهدتها. لم ترد المجازفة بالإساءة لهذه المرأة، التي أعطتها الشقة الأرضية الفسيحة بإيجار مخفض وكانت عضواً في مجلس الكنيسة.

ترجّلت أندريا من السيارة من دون أن تستطيع تغيير مزاجها المتعكر وتحضرت لمقابلة مايبل التي هرعت نحوها.

«هل انتهى كل شيء أيتها الأخت أم أتيت إلى البيت كي ترتاحي قبل العودة ثانية؟»

«لقد انتهى كل شيء، وأنا مرهقة جداً.»

«عندما أفكر بأن كثيرين من أعضاء كنيستنا ائتمنوا شركة هاستينغز على استثماراتهم المالية، أصاب بالرعشة.»

تمتمت أندريا بفارغ الصبر: «أموالهم ما تزال في أمان. وكما ذكرت الصحف، لقد دفع كل قرش بعد بيع ممتلكاته. لم يخسر أحد شيئاً.»

لم تستوعب مايبل هذا الدفاع عن لوكاس هاستينغز. وأصرت قائلة: «إنه غير جدير بالثروة التي يملكها، بالإضافة إلى أنه يمتلك جاذبية شيطانية. لا يمكن الوثوق برجل من هذا الطراز، لأنه لا يحتاج للحصول على معيشته بالعمل الشريف مثل بقية الناس العاديين. أنا شخصياً أعتقد أنها مقامرة مفضوحة، ويجب التحقيق مع كل عملاء الأسهم. لقد نال جزاءه، أخبريني عما حدث.» أنهت حديثها بتلهف.

تنفست أندريا بهدوء، ما زالت النظرة في عيني لوكاس هاستينغز قبل أن يُصطحب خارج قاعة المحكمة مكبلاً بالأصفاد، تجول في مخيلتها. «لقد حكم عليه بالسجن ستة أشهر. سوف تسمعين كل ذلك في نشرة أخبار الساعة السادسة.»

قطبت المرأة الأخرى حاجبيها. «ستة أشهر فقط؟» صرخت وهي تحاول بوضوح مناقشة القضية بتفاصيلها. لكن، هذه المرة، انسلت أندريا وعبرت الساحة وفتحت باب شقتها.

«هذا صحيح. أعذريني لعدم تمكني من البقاء للتحدث، إذا تركت بعض الشتلات في الساحة، سأزرعها في الصباح. إنها جميلة يا مايبل وستجعل الحديقة تبدو رائعة.»

لم تتأثر كثيراً. بل تنهدت وتمتمت شيئاً غير مفهوم، فيما دخلت أندريا شقتها.

حاولت أن تأكل شطيرة ولكنها شعرت بالاعياء فتمددت على السرير كي ترتاح. استيقظت بعد ساعة، من دون أن تشعر بالانتعاش لأنها لم تتوقف عن التفكير بلوكاس هاستينغز. قررت أن تبعد عن رأسها ذكرى المحاكمة، استحمت وبدلت ثيابها وانطلقت بالسيارة إلى الكنيسة. تولى بول، منذ تعيينها في هيئة المحلفين، أمر مسؤولياتها بالإضافة إلى مهامه وحان الوقت لإراحته منها. فكرة التسويق، كما اقترح عليها، لم تجد قبولاً لديها، ولكن بامكان العمل الشاق أن ينسيها قلقها.

اكتشفت، عندما وصلت إلى الكنيسة، أن بول قد غادر ليحضر اجتماعاً لجمعية الشبان المسيحيين ومن المحتمل أن تطول غيبته حتى المساء. ولم يزعج ذلك أندريا، لأن ذلك يعني أن تنهمك بالأعمال المكتبية المتراكمة على مكتبها من دون أن يتدخل بول ويطلب منها الذهاب إلى البيت. اتصلت هاتفياً بالعديد ممن اتصلوا بها في غيابها، وتفحصت البريد المتراكم بشكل هائل. نظرت أخيراً إلى ساعتها، لقد مضى عليها في العمل ساعتان.

«دوريس؟ هل أتيت للحظة، من فضلك؟» نادت على موظفة الاستقبال. وقفت أندريا أمام اللوحة المغطاة بالزجاج والمعلقة إلى الحائط، والتي كانت تستعملها بدلاً من مرآة. اصلحت من هندام ملابسها ووضعت الياقة البيضاء الرسمية حول عنقها. مشطت شعرها قليلاً وأصبحت جاهزة. ما عدا أحمر شفاه باهت اللون، لا تستعمل أندريا أي مساحيق تبرج، وعيناها الزرقاوان المغطيتان بأهداب كثيفة لا تحتاجان إلى الزينة.

«ليس عليك أن تخبريني.» قالت دوريس وهي تدخل

الغرفة: «إنك ستتفقدين المستشفى. لماذا لا تأخذين عطلة الليلة؟ أعرف أنك بعد أسبوع من المداولات القانونية، ستنهارين.»

وضعت أندريا فرشاة الشعر في حقيبتها بيد مرتجفة. «لقد أزعجتني المحاكمة كثيراً، ومن الأفضل أن أبقي نفسي مشغولة كي لا أفكر بما حدث.»

تمتمت دوريس متعاطفة: «إذا شئت أن تتحدثي عن متاعبك، فسيسرني الاستماع إليك.»

«أعدك، بأنني سأفعل ذلك في يوم ما، يا دوريس.» كانت تلك الحقيقة. إذا استطاعت فعلاً التكلم إلى شخص عن هواجس هذه المحاكمة، فسوف تكون دوريس هذا الشخص. «أما الآن، فأنا ذاهبة لزيارة باربرا مونتغمري. وصلت أمها، المصابة بالسرطان، لتوها من ساوث داكوتا. سوف ترعاها باربرا من الآن وصاعداً وطلبت مني المرور عليها. يظهر أن أمها يائسة وتخاف من المعالجة الكيميائية.» توقفت ثم أضافت: «وأعتقد أن باربرا خائفة أيضاً.»

«ما تحتاجانه بالتحديد، هو زيارة من الراعية أندي.»

ابتسمت أندريا للمرأة الشقراء الجذابة، وهي أم لثلاثة أولاد وفي مثل عمرها، وقد أصبحت صديقتها منذ أول لقاء. الكثير من العاملين في الأبرشية لم يتقبلوا أندريا بعد تكريسها لسنتين انصرمتا. بعضهم لن يتقبلها أبداً. ولكنها تعلمت كيف تتعامل مع الرفض من دون أن تدع ذلك يمنعها من الوصول إلى أهدافها.

اقتربت من دوريس وحضنتها. «شكراً، يا صديقتي.»

حدقت دوريس إلى أندريا بمحبة وقالت: «عندك الكثير من

الأصدقاء، لا تنسي ذلك. وإذا كان البعض لم يكتشف أن لديك قلباً من الذهب الصافي، فهذا البعض هم الأغبياء.»

«حسناً، من المؤكد أن أبواب السماء كانت مفتوحة لي عندما تقدمت للعمل كسكرتيرة.» التقطت أندريا حقيبتها. «جوقة الكنيسة تتمرن الآن. ذكري توم بأن يقفل الأبواب قبل أن يذهب. لا أريد منك البقاء هنا بانتظارهم، وإلا سوف تتأخرين عن أولادك. لا يدفعون لك كفاية على الدوام العادي، فلا حاجة لك بدوام إضافي غير مدفوع، خاصة ليلة الجمعة.

«لا أمانع في ذلك. زوجي غريغ خارج البلدة حتى الأربعاء القادم.» ابتسمت دوريس. «وأمي لا تمانع في رعاية الأولاد.»

تكلمت أندريا بصرامة: «حسناً، أنا أمانع!»

مالت دوريس برأسها إلى الجانب. «وماذا عنك أنت؟ كل وقتك عمل ومن دون راحة. هل تعلمين ماذا...»

«أنا أحب عملي، وما أفعله.»

«وماذا عن النوع الآخر من الحب؟ العلاقة بين الرجل والمرأة؟»

ابتسمت أندريا بسرور، دوريس لا تستسلم أبداً. «أخبريني، أنت.»

«أعرف أن رجلين بدآ بالقدوم إلى صلاة الأحد لأنهما يهيمان جداً بك، ولكنك لا تأبهين لأي منهما. وهذا ليس من طباعك.» قالت دوريس منكدة عليها.

توقفت أندريا في طريقها للخروج. «أنا أعرف من تعنين، ومعجبة بهما الاثنين. ولكن صراحة، لا أعتبر أياً منهما صالحاً لي.» ثم أضافت: «إضافة إلى ذلك، أنت تعرفين موقف الكنيسة من العاملين فيها الذين يتورطون في علاقات عاطفية

مع رعية الأبرشية، ومن دون أن أذكر أن ذلك سيتسبب في فضيحة للسيد والسيدة سلون، ولا نستطيع أن نقبل بذلك.»

«آل سلون لا يعيشون في العالم الحقيقي وليسوا الناطقين باسم كل رعية الأبرشية يا أندي.»

«كدت أن تضليليني.» كانت تعرف تماماً أن العائلات الشبيهة بعائلة مارغو سلون في العالم، هم أناس خطيرون.

اقتربت دوريس منها وقالت: «إنسهم، أخبريني، لو قابلت رجلاً وأعجبت به فعلاً، هل كنت سترفضينه؟»

تراءى لها في لمحة بصر، خيال صورة لوكاس هاستينغز. انزعجت أندريا لأن خياله ما زال يسيطر على أفكارها وقالت: «دعيني أوضح لك، إذا قابلت رجلاً يستطيع أن ينسيني مارك، فربما. والآن، تخلي عن ملامح الخاطبة في عينيك، يجب أن أذهب، سوف أراك يوم الأحد.»

أوقفت أندريا سيارتها، بعد عشرين دقيقة، أمام ناطحة سحاب سكنية قريبة من الوسط التجاري. عندما دخلت إلى ردهة البناء، رنت الجرس وسمح لها بالصعود إلى شقة باربرا مونتغمري، في الطابق الخامس.

استغرقت زيارتها ساعتين. أمضت معظمها في الترويح عن زينا، والدة باربرا والاستماع إليها، والتي بكت كثيراً وأسرت لها بمخاوفها وقلقها. اقترحت أندريا عليها أن تنضم إلى مجموعة من البالغين تعاني من المرض نفسه ومن نتائجه النفسية كي لا تشعر أنها وحيدة. كانوا يجتمعون في الكنيسة ليلة الأحد، مرتين في الشهر. أحياناً يشاهدون أشرطة فيديو توجيهية عن التقدم الطبي في هذا المجال، وأحياناً أخرى يستمعون إلى محاضرات يلقيها

اختصاصيون. وفي المناسبات يقومون بخدمات اجتماعية معاً.

تحمست باربرا لاقتراح أندريا ولكنها وجدت صعوبة في اقناع زينا.

تمنعت زينا في البداية ولكنها وافقت بعد تردد على التفكير بالأمر. نظرت باربرا إليها بامتنان قبل أن تودعها.

وهمست: «شكراً لك، أيتها الأخت.»

«أنا في الخدمة دائماً يا باربرا.»

ومن الغريب، أنها لحظة دخولها السيارة، أصر عقلها على استرجاع خيال صور لوكاس هاستينغز، من دون غيره. ما سيكون شعوره في ليلته الأولى في السجن؟ حتى لو كان مذنباً، فالبقاء في زنزانة مغلقة لمدة شهور، يحطم الأعصاب. أما إذا كان بريئاً، كما ادعى فكيف سيشعر؟

لم ترغب أندريا بالاستمرار في هذا التفكير، وخلال عودتها إلى البيت ركزت تفكيرها على الموعظة التي ستلقيها صباح الأحد. في طريقة ما، كانت تحضر هذه الموعظة، معظم حياتها. «لا تحكم على أحد، حتى لا يحكم عليك.» وبالنسبة لأندريا، الله فقط يعرف بمكنونات النفوس الحقيقية.

مرة ثانية تحولت أفكارها إلى الرجل الذي وجهه لا ينسى والذي ملأ خيالها لعشرة أيام. كيف سيمضي هذه الأسابيع وراء قضبان زنزانة بعد أن كان القوة الديناميكية في شركة بيع الأسهم المزدهرة؟

واصل محامي الدفاع، خلال المحاكمة، على رسم صورة للوكاس على أنه يمتلك قدرة فائقة ومواهب فذة. رجل يعتبر عبقرياً في إدارة الأموال، وترعرع في وسط مالي. لماذا

شخص مثله، يريد ارتكاب جريمة الاحتيال؟ هل هو الجشع؟

واتفقت أندريا مع القاضي، الذي قال إنه لا يجد مبرراً لتصرف لوكاس هاستينغز. ولكن أندريا ذهبت أبعد من ذلك. فهي لم تجد سبباً لهذا التصرف. ولم تجد هذا الأمر منطقياً، برغم الحقائق التي تشهد على خلاف ذلك، وافترضت أن إدانته أو براءته ستبقيان دائماً غامضتين.

وكما قال بول، لقد انتهى كل شيء، وليس بالمستطاع عمل أي شيء. لقد قامت بواجبها كمواطنة، وأفضل شيء تفعله هو أن تطوي هذه الصفحة وتجعلها من الماضي. ولا يجوز الاستمرار بتضييع الوقت في القلق عليه.

إنها تخدم أبرشية، وهذا يتطلب كل اهتمامها وحبها، ومن الأفضل أن تركز جهودها حيث ستثمر.

الفصل الثاني

قارب اجتماع لجنة أيلول، المكلفة وضع البرنامج السنوي لنشاطات الكنيسة، على الانتهاء، وبقيت عدة مسائل هامة معلقة.

«هل أستطيع التحدث إليك على انفراد؟» سأل بول فيما كانت أندريا تنهض على قدميها.

أومأت برأسها إيجاباً، وتقدمت نحو طاولته بعد أن غادر الجميع. «أنا أعرف ما تريد أن تقول، وأنا قلقة بشأن نقل راي، مثلك تماماً. هل فكرت بأحد يستطيع تدريب فريق الصغار الرياضي بعد مغادرة راي؟ إن مدير الشركة الجديد يريد نقله إلى كاليفورنيا بعد عطلة عيد الشكر. وهذا لا يعطينا وقتاً كافياً كي نعثر على مدرب كفوء مثله.»

هز بول رأسه. «لا أدري ما العمل. ربما يجب أن نعلن للرعية حاجتنا لمتطوعين. أو ربما... وهذه فكرة أفضل... يعرف أحد تلامذة الثانوية مدرباً مدرسياً، مستعد لتقديم المساعدة، يوماً واحداً في الأسبوع. لا تقلقي. سنعثر على واحد. دائماً ننجح في ذلك. وحتى ذلك الوقت، أبدى ريتشي غرني استعداده للحلول مكان راي حتى نجد مدرباً دائماً. ولكن ليس بشأن ذلك طلبت التحدث معك.»

جلس منحنياً إلى الأمام وعيناه تلمعان، وأحسّت أندريا بالحماس في تعابيره. «كيف يمكنك أن تكون سعيداً في الوقت

الذي نحمل هموم العالم كله على أكتافنا؟» سألته ممازحة.

«لقد وصلتني رسالة من بريت. هو وسوزان يريدان مني أن أسافر إلى طوكيو لزيارتهما ومشاهدة الأولاد. وقد أرسلا لي تذكرة السفر ذهاباً وإياباً.»

«هذا رائع.» صرخت أندريا. «أنت تحتاج إلى اجازة أكثر من أي شخص أعرفه. متى موعد سفرك؟»

«إذا سافرت، سيكون ذلك بعد اسبوعين من تاريخ اليوم، وسأتغيب لمدة اسبوعين أيضاً.»

«ماذا تعني بقولك، إذا؟»

وضع يده على يدها. «لا أرغب بتركك وحدك في الوقت الذي توجد عندنا مشكلة بناء الأساس المنهار ومشكلة المقاول غير الكفوّ.»

تلاشت ابتسامة أندريا. «هل هذا اسلوبك المهذب في أن تقول لي إنني غير كفوّة لمعالجة مثل هذه الأمور من دونك؟»

«أنت تعرفين أن هذا غير صحيح.» قال بصوت أجش: «وأعتقد أن ما عنيته هو أني سأشعر بالذنب لأني سأسافر وأتمتع. وأترك لك كل الأمور المعلقة هنا.»

«هل تذكرت ما كان شعوري عندما انهمكت في هيئة المحلّفين، وقمت أنت بتغطة مهامي لمدة عشرة أيام؟ الآن، أستطيع أن أرد لك الجميل.»

«هل أنت متأكدة؟»

ضحكت وقالت: «إبدأ بتوضيب حقائبك، وأنا سأهتم بالباقي.» وقفت إلى جانب الطاولة. «لماذا لا تذهب إلى البيت وتخبر بريت بقدومك؟ لقد حان الوقت للأولاد كي يتعرفوا إلى جدهم الرائع.»

ترقرقت دمعة في عينيه. «أشكرك يا أندي، هذا ما سأفعله تماماً.»

مر الأسبوعان التاليان بسرعة وهما منهمكان في تصفية الأمور العالقة قبل سفره. أقلّته أندريا إلى المطار، وبحثا في الطريق في آخر مستجدات شؤون الكنيسة. التفت إليها عندما عبرت المدخل إلى موقف السيارات.

«أنا متأكد من أنني أخبرتك ذلك من قبل، ولكن إذا سهوت، ستجدين ذلك مكتوباً في المفكرة التي تركتها لك. يأتي دورنا بعقد القداس والقاء الموعظة في سجن رد بلوف، يوم الأحد القادم بعد الظهر. لقد اتصلت بهم هاتفياً وأعطيتهم المعلومات اللازمة. ولدواعي الاحتياطات الأمنية ستعطى لك إجازة مرور في مكتب الزوار عندما تقدمين بطاقة هويتك.»

انكمشت على نفسها. رد بلوف؟ إنه السجن الذي يقضي فيه لوكاس هاستينغز مدة حكمه. استطاعت أندريا في الشهرين المنصرمين أن تنساه وتنسى المحاكمة. «لا أعرف يا بول، لم يسبق لي قط، القيام بالقداس في سجن.»

ضحك وهو يلتقط حقيبة آلة التصوير. «يجب أن تفعلي ذلك أحيانا. تذكري، أن إلقاء موعظة في سجن، مثلها مثل إلقائها في أي مكان.»

عندما فكرت بأنها ستواجه زمرة من الرجال المسجونين، أصابها الرعب. «هلاّ تركت الموعظة التي حضرتها كي القي نظرة عليها قبل يوم الأحد؟»

«منذ متى، يلقي أحدنا موعظة الآخر؟ هذا من اختصاصك، سأترك الأمر لك ولكفائتك.» ترجل عندها، من السيارة، فتح

الباب الخلفي وأخرج حقيبته. «لا تزعجي نفسك بمرافقتي إلى داخل المطار، سيتم الاقلاع بعد ساعة على الأقل.»

«ولكن، يا بول...»

«وداعاً يا عزيزتي أندريا، أشكرك لأنك أوصلتني، سآخذ بنصيحتك وأتمتع بوقتي. وبما أنك أنت التي ستشرفين على شؤون الكنيسة، فلن أقلق. ليباركك اللّه. سأراك بعد اسبوعين.»

راقبته يدخل قاعة المطار ويختفي بين جموع المسافرين. كانت سعيدة من أجله، بالطبع، ولكن في طريق عودتها من المطار، لم تستطع منع نفسها من التمني. لو أنه أجّل سفره اسبوعاً آخر، كي لا تضطر إلى إلقاء الموعظة في السجن. من المحتمل جداً أن يكون لوكاس هاستينغز بين الحضور. لقد أثارت فكرة عقد قداس يحضره، أعصابها بشدة.

افترضت أن باستطاعتها الاتصال بمجمع شيارد للكنائس ومحاولة الحصول على كاهن من كنيسة أخرى لعقد القداس بدلاً منها. لم ترق لها هذه الفكرة، لأنه ليس من عادتها التخلي عن واجباتها. إضافة إلى أن بول يعتمد عليها وسيصاب بخيبة أمل إذا علم أنها تراجعت أمام التحدي.

عندما فكرت ثانية بالأمر، أدركت أن بول رفع كثيراً من قدرها عندما توقع منها أن تحل مكانه... خاصة، أنه في العادة يعقد القداس كاهن رجل وليس امرأة، في سجون الرجال. وهذا يعني أن بول يثق بشكل كامل بقدراتها. ولا تستطيع أن تجنب أمله.

أمضت باقي الأسبوع بالاجتماعات مع مقاولين، حتى وقع اختيارها على سيدة قدمت عرضاً مقبولاً للتجديدات في الكنيسة. ثم أنهت باقي أعمالها بسرعة لتتفرغ لتحضير

الموعظة التي ستلقيها في السجن. ولكن من وقت لآخر كانت تطرأ على أفكارها صورة لوكاس وتلهيها عن العمل.

لقد قال القاضي له، إن سراحه سيطلق بعد ستة أشهر، إذا كان سلوكه حسناً. فهل هو من النوع الذي يذهب إلى الكنيسة؟ تذكرت الفتاة ما قاله لها بول، إن عدداً ضئيلاً فقط، من السجناء يحضر القداس، ولهذا افترضت أن احتمال وجود لوكاس في القداس كان ضئيلاً ولا موجب للقلق.

على الرغم من... ما الذي سيحدث إذا شاهدته مع الآخرين؟ هل سيتعرف عليها كواحدة من المحلّفين الذين أدانوه وأرسلوه إلى السجن؟ كانت متأكدة من أنها لن تنسى وجهه أبداً. على أي حال، لقد مضى ثلاثة أشهر على ذلك اليوم المشؤوم، واحتمال أن لا يجد علاقة بين راعية أبرشية في لباس القداس وبين واحدة من ثلاث نساء كن في هيئة المحلّفين. خاصة وأنها ارتدت لباساً عادياً في المحكمة.

عندما جاء يوم الأحد، كانت أندريا تشعر بالارتياح لأن رأيها قر على أن تحل مكان بول، وحالما انتهى قداس الصباح في الكنيسة، تناولت وجبة الغداء بسرعة وانطلقت نحو سجن رد بلوف، الواقع على تلة تبعد ثمانين ميلاً شرقي البوكركي. تمرنت، خلال الطريق، على القاء الموعظة وأملت أن تعني شيئاً مفيداً للسجناء وتقوي من عزيمتهم.

لم يكن السجن المؤلف من طابق واحد مسيّجاً بالأسلاك الشائكة ولم يبدُ مخيفاً كما تخيلت أندريا. تفحص الحارس في مكتب الزيارات بطاقة هويتها واصطحبها إلى الكنيسة المشتركة في الردهة الرئيسية.

سمعت أصوات إنشاد رجالية، عندها اقتربا من الباب. كان

بول قد أخبرها أن السجناء ألّفوا جوقتهم الخاصة. عندما دخلت الكنيسة مع الحارس، شاهدت ما يقارب اثني عشر سجيناً بثيابهم الخاكية متحلقين حول البيانو، يتمرنون.

حدق إليها السجناء بفضول عندما قادها الحارس إلى حجرة إلى جانب الكنيسة حيث يمكنها أن تبدل ملابسها. أوضح لها أن الحجرة الصغيرة، الخالية من النوافذ والتي تحتوي على طاولة وكرسيين تستعمل للمقابلات الخاص بين السجناء وبين رجال الدين الزائرين.

أغلقت الباب وراءها، بعد أن غادر الحارس وفتحت حقيبتها. ارتدت أولاً رداء القداس الأبيض. ثم أخرجت الأشياء التي ستحتاجها في القداس وهرعت إلى داخل الكنيسة.

نظرت إلى ساعتها لتجد أن الوقت قد أصبح الثانية بعد الظهر. وضعت كرسياً في مؤخرة الكنيسة قرب الباب... حيث وقف حارس آخر... ثم وضعت عليه نسخاً عن الموعظة، بالإضافة إلى نسخ بعض المواد التي صورتها في الأبرشية، كي يلتقطها السجناء عندما يغادرون الكنيسة.

وضعت كل ما تحتاجه للصلاة على طاولة مستطيلة موضوعة أمام المنصة. ثم قدّمت نفسها لأفراد الجوقة وعازف البيانو وطلبت منهم أن يبدأوا وينهوا الصلاة بالتراتيل الدينية.

وافقوا ونظروا إليها باهتمام واضح. في ما عدا الزيارات العائلية، افترضت أندريا أن رؤية امرأة هو أمر نادر هنا، وخاصة إذا كانت المرأة راعية أبرشية.

عند الثانية تماماً، شاهدت ما يقارب العشرين رجلاً من مختلف الأعمار يدخلون صفاً واحداً إلى الكنيسة ويأخذون

أماكنهم. تستطيع تمييز لوكاس هاستينغز في أي مكان، ولكنها لم تره بينهم.

شعرت بارتياح، وأومأت إلى الجوقة كي تبدأ الترتيل. ثم تبع ذلك القداس وأصبح باستطاعتها أن ترتاح. لاحظت بعد انتهاء الصلاة والمناولة أن الحارس سمح لسجناء آخرين بدخول الكنيسة، أخذوا أماكنهم في الصفوف الأخيرة ليسمعوا موعظتها.

لم تشاهد الرجل الذي ساعدت على وضعه في السجن حتى أصبحت في منتصف موعظتها وحين كانت تفسر للسجناء معنى اللطف والرقة في التعامل بين الناس. لأحد غيره يملك هذه الملامح الخلابة والشعر البني اللماع...

تحشرج صوتها للحظة ثم جاهدت كي تتمالك نفسها. تعمدت التحديق إلى الصف الأمامي كي تستطيع التركيز، وأنهت الموعظة. «تذكروا عندما يطلق سراحكم وتندمجوا ثانية في المجتمع، أن الأخلاق الكريمة يمكن تحويلها إلى التطوع لمساعدة العاجزين. والعالم مليء بالتعساء، وهناك متسع للمساعدة في كل المجالات وكل واحد يستطيع أن يقدم. لقد وضعت لائحة، تتعلق بالخدمات الاجتماعية، على الكرسي في الخلف، خذوا نسخة، إذا كنتم مهتمين عند الخروج.»

بعد أن أعطت التبريك، أخذت الجوقة بالترتيل، وبدأ السجناء بمغادرة الكنيسة واحداً بعد الآخر، وخرج لوكاس هاستينغز معهم. ومن الواضح أنه لم يلاحظ شيئاً غير عادي، وشعرت أندريا بموجة الخلاص.

تقدم منها عدد من السجناء وصافحوها وشكروها على ما قدمت. تلكأ عنهم رجل في العشرين من عمره ذو عينين

متعبتين، وعندما خلت الغرفة، طلب منها التحدث على انفراد. لقد أعطاه الحارس الإذن بذلك.

طلبت منه الدخول إلى الحجرة الصغيرة، حيث انخرط في البكاء. توسل أندريا أن تتصل بوالدته وتخبرها انه يحاول أن يتغير ويأمل أن يكون بمستطاعها أن تغفر له يوماً ما. وكان من الواضح أن الرسائل التي يبعثها كانت تعاد إليه كما أرسلها، من دون أن تفتح.

تأثرت أندريا لهذا الشاب، ودونت عنوان أمه على دفترها، ووعدته بأن تراسلها وتشرح لها مشاعره. شكر أندريا بحرارة وغادر الغرفة. نزعت عنها رداء الكهنوت وهي تتشوق للعودة إلى البوكركي. لقد كان يوماً مرهقاً ومزدحماً بأمور عدة، والضغط النفسي الذي تعاني منه تملكها... خاصة عندما شاهدت لوكاس هاستينغز جالساً بين الحضور.

عندما استدارت لتخرج إلى الكنيسة، لتلملم اغراضها، شاهدت من يشغل بالها واقفاً أمام الباب، تجمدت وما كادت تتنفس.

«الأخت مايرز.» صوته الجهوري... صوت لا يمكن أن تنساه أبداً... اخترق الهدوء. «هل تسمحين بكلمة؟»

لم تستطع أندريا إلا التحديق إليه. لم تره قط إلا ببدلات رجال الأعمال المتحفظة، وعلى درجة عالية من الأناقة ولم تكن مستعدة لرؤيته مرتدياً ثياب السجن الضيقة. ثياباً تبرز صدره العريض وعضلاته المفتولة.

وجدت رائحته الطبيعية، النظيفة المنبعثة من جسمه النحيل أخاذة. وزادت من جاذبيته بوادر لحية على ذقنه الرفيعة.

حولت نظرها إلى شعره، الذي أصبح طويلاً، وملتفاً حول جبهته وعنقه من غير تصفيف.

تفحصها في المقابل من قمة رأسها إلى أخمص قدميها باعجاب وحدق في تكاوينها البارزة من خلال فستان القطن الأبيض والسترة الزرقاء اللذين كانت ترتديهما، وأحست برعشة باردة تعتريها.

ضاقت عيناه واسودتا في اللحظة التي وقع نظره فيها على ثوبها الكهنوتي وعلى وجهها الذي اعتلاه الاحمرار. تصلبت تعابير وجهه الوسيم على الفور وتحولت إلى القناع الحزين الذي ظهر عليه، عندما لفظ القاضي حكمه.

«هذه أنت.» همس باستياء بارد.

لقد تعرف إليها، برغم كل شيء، تراجعت خطوة إلى الوراء وتعثرت بالكرسي. «سيد هاستينغز.» كان هذا كل ما استطاعت قوله قبل أن ترتسم على فمه ابتسامة تهكم.

«لاحظت خلال هذه المحاكمة المسرحية كل شيء عنك بالتفاصيل ما عدا الثوب الكهنوتي. هل أفترض أنه، فيما أنا أقضي مدة حكمي كمجرم، تم تكريسك قديسة؟»

جاهدت كي تتنفس وتسترجع دهاءها. «لقد تم تكريسي كراعية أبرشية منذ أكثر من سنتين، ولم أكن لأرتدي الثياب الكهنوتية وأنا أُمثل في هيئة المحلَفين، لأن ذلك لا يتعلق بواجباتي الكنسية.»

قطب حاجبيه بعدائية. «ربما كان يجب أن تفعلي ذلك. كان من المحتمل أن ينزل عليك. الهام إلَهي، واللّه أعلم، كم كانت الحاجة لذلك ضرورية.» تمتم بصوت أجش. وضع ذراعيه حول جسمه، ولاحظت قوة عضلاته والشعر البارز في صدره.

«ما الذي أتى بك إلى أشهر ناد ريفي في نيومكسيكو؟ هل قررت التنازل إلى مستوى القذارة كي تشاهدي كيف يعيش الخارجون على القانون؟»

جاهدت كي تبقى هادئة. «يقيم مجمع شيارد للكنائس قداساً عاماً كل اسبوع، هنا، وكان اليوم دورنا في اقامته.»

حدق في وجهها وجسمها بوقاحة، مما جعل أعصابها تلتهب. «حسناً، إذا كان ما تسعين إليه هو توبة العديد من الناس، فارسالك إلى سجن مليء بالرجال، بعضهم على استعداد للقتل من أجل رؤية وجه امرأة، هو ضربة ذكاء موفقة. إنني مندهش لعدم وجود أي بوادر عصيان وتمرد حتى هذه اللحظة.»

لم تكن أندريا تتوقع أن تتحدث مع لوكاس هاستينغز، لذلك انكمشت على نفسها من جراء مضايقته الغريبة لها. اخترق، في ثوان قليلة، دفاعاتها النفسية إلى الصميم وجعلها تشعر بالعجز.

تململت، ووجدت نفسها تشرح له: «في الحقيقة، حللت مكان بول ياتس. إنه كاهن الرعية في كنيستنا، ولكنه سافر خارج البلاد.»

أرجع رأسه للوراء ودوت منه ضحكة عالية، ملأت اصداؤها المكان. استدار نحوهما الحارس الموجود خارج الحجرة الصغيرة بسرعة، ولكن لوكاس بدا لامبالياً.

«أعتقد انك لست بكاذبة ماهرة... لأنك الراعية الأولى التي أراها داخل هذه الجدران منذ وضعي بالسجن. لماذا لا نكون الآن، صادقيين مع بعضنا بعضاً قليلاً؟ لقد سمعت الحكم الذي صدر بحقي في المحكمة، ولذا فأنتِ تعرفين أنني مسجون هنا. أيجب عليّ أن أشعر بالاطراء لأنك قررت الزيارة،

لتشاهدي الأذى الذي سببته، على سبيل المثال؟ هل كنت تأملين بمعرفة ما إذا كنت على قيد الحياة، أو لتريحي ضميرك بهذا الاسلوب الملتوي؟ إذا لم يخطىء ظني، فهذه هي المرة التعيسة الأولى، التي تلتقين بها بمجرم مشهور، أنت ساعدت في ارساله إلى السجن.»

«أنت تعطي نفسك أهمية أكثر مما تستحق.» ردت عليه بشدة. «أجل، كنت أعرف انك هنا، وظننت أنه احتمال ضئيل في أن تحضر القداس. ولكن هدفي من القدوم إلى هنا، هو مساعدة بعض السجناء في التقرب من الله والتعرف إلى طريق الخلاص.»

«إن فرصة حدوث ذلك هنا، أشبه بأن تصبحي البابا!»

برغم الوهن الذي كانت تشعر به في ركبتيها، تمالكت أندريا أعصابها. «هنالك فترات في حياة كل انسان، يحتاج فيها للجوء إلى الله.» حدق إلى فمها، فيما هي تتكلم، مما أعطاها انطباعاً، بعدم إنصاته لما تقول.

«تتدفق هذه التفاهات من بين شفتيك بسهولة، مما يجعل من الصعب ألا يعتقد سامعوك، أنك ولدت وأنت ترتدين ثوب الكهنوت. دعيني أوضح لك شيئاً، يا راعية الأبرشية.» أصر ساخراً. «لو كان هناك عدالة في السماء، لما كنت هنا!»

تذكرت أندريا انها كانت تفكر بالطريقة نفسها عندما كانت في العشرين من عمرها، خاصة عندما استيقظت لتجد نفسها في غرفة مستشفى غريب، لا تستطيع الحراك. ولكن الرجل الذي يواجهها بعدوانية، لن يكون مهتماً بالاستماع إلى ماضيها. وفي الحقيقة لم تستطع تخيل لوكاس هاستينغز يستمع لأي شيء يمكن أن تقوله.

تمتم بلعنة وتَرت أعصابها. «ماذا؟ ألن تلقي موعظة؟ ألن تحاولي تقويمي؟»

رمت السؤال عليه وندمت لأنها فعلت: «وهل ينفع ذلك؟»

انفجر بها غاضباً: «أنت تعرفين، أن ذلك لا ينفع!»

«إذاً، لماذا أتيت لحضور القداس؟»

«كي أبرهن أكثر على سلوكي الحسن. هل من سبب آخر؟»

أدركت أنها تورطت حتى قمة رأسها. «أرجو أن تعذرني، يا سيد هاستينغز، يجب أن أجلب أغراضي من الكنيسة.»

«ما الخطب؟» قال ساخراً: «أتخافين من وجودك وحدك مع مجرم حقيقي؟»

«لم أعتبرك مجرماً، قط.»

لمعت عيناه بالخطر. «إذاً، أنت تقرين بأنك فكرت بي.»

«لا أعتقد أن أحداً من هيئة المحلَّفين نسي قضيتك. هذا لا يحدث كل يوم...»

«إرسال رجل بريء إلى السجن؟» سأل بصوت قاسٍ قبل أن تنهي جملتها. أغمضت أندريا عينيها برهة قصيرة. ما يزال مصراً على براءته. وهذا الاصرار جعلها تضطرب الآن أكثر مما كانت عليه في قاعة المحكمة، لثلاثة شهور خلت.

«لقد قام المحلَّفون بما في وسعهم للتدقيق في البراهين المقدمة.»

«هل من المفترض أن يجعلني ذلك أشعر بشكل أفضل؟» اقترب منها ولكنها مسمرة ولم تستطع التراجع. «ماذا يعني كل ذلك؟» نبرة المرارة المميزة التي تكلم بها، حطمت كل تمالكها. شعرت بالندم العميق لأنها لم تجد بديلاً يحل مكانها في اقامة قداس السجن.

«اسمع يا سيد هاستينغز، إذا صدقت أم لا، لقد عانيت كثيراً من الألم بسبب قضيتك، و...»

«بالطبع، أنت عانيت.» قاطعها بلطف. «وحسب ما أذكر، استمر أربع ساعات.»

«لم تعطني الفرصة كي أنهي كلامي.» ذكَّرته، ولكنه لم يسمح لها بالمتابعة، فقد أمسك بذقنها على غير توقع ورفع وجهها وتفرس به. تلاشت الأفكار من عقلها وهي تشعر بضغط أصابعه على بشرتها المحمومة. قربه، حيرها وما استطاعت تفكيراً إلا بقربه منها.

«أخبريني شيئاً، أيتها الأخت.» همس بنبرة احتقارية. «هل مرت لحظات تعاسة في حياتك، وشعرت بأن روحك ستذهب إلى الجحيم؟ هل شعرت مرة بأن حياتك انهارت من أسسها؟ هل حدث أي مكروه، جعل هذا التكوين اللطيف يتداعى إلى بؤس قاتل؟»

أرادت أندريا ـ المعلقة في صراع مؤلم ـ أن تخبره، نعم، لقد خبرت كل ذلك، وأكثر مما تتصور، ولكنها لم تستطع النطق بهذه الكلمات. ربما من جراء التعبير البادي على وجهه، الذي سحب بسبب انفعاله الشديد.

«هل اختبرت ذلك؟» طالبها بالرد. وفي اللحظة التالية، قبض على ساعدها بيده الأخرى وهزها. أدركت أنه قام بهذه الحركة عن غير وعي لأنه وجد فيها متنفساً لغضبه. لكن الحارس وقف إلى الباب تنبه إلى الخطر الماثل ووضع يده على مسدسه. أدركت أندريا فوراً خطورة الموقف، ولاحظت أن الأمر بدا لها لتفادي كارثة. لقد أثارت على غير تعمد غضب لوكاس هاستينغز بسبب الموقف المتشنج بينهما، ولكن الحارس يفسر ردة فعله على أنه تصرف عنيف.

رفضت أن تجعله يعاني من ألم اضافي بسبب تدخلها غ
المتعمد. وبسرعة بديهة، صاحت بصوت مرتفع كي يسمع
الحارس: «لوك، يا عزيزي! أنا أعرف أنك طلبت مني عدم المجر
ولكني لم أستطع البقاء بعيدة عنك!» وحالما انتهت من هذا الق
العاطفي، عانقته، في محاولة لتضليل الحارس بطريقة مقنع
وتمنت أن يتفهم لوكاس ما كانت تقوم به وأن لا يبعدها عنه

لم يكن هناك داع للقلق. لأنه عانقها بالمقابل وشد عليه
مما جعلها تفغر فاها مذهولة.

خافت من أن لا تتجاوب، استمرت بعناقه وقد كادت أن تنس
أين هي ولماذا. وأضيف إلى فداحة الموقف أنها أحس
بشعور غريب يعتريها، وذهلت لأنه تمادى معها. ابتعدت ع
وتلصصت على الحارس. ولسرورها وجدت أن عناقهما
أوقفه عن التدخل. كان واقفاً أمام الباب، يراقبهما باهتما

استرخت وهي تشعر بالخلاص وبأحاسيس لم تست
تحديدها. حاولت من دون جدوى أن تتملص من بين ذراع
لوكاس القويتين. «اتركني الآن.» همست بصوت متقطع.

خرجت من فمه ضحكة خافتة شيطانية. «لا أمل لك بذلك
همس لها، مما أجبرها على النظر في عينيه السوداوي
«ليس بعد.» وللحظة تخيلت أندريا أنه مذنب بكل التهم الت
القيت عليه، وربما أكثر. «ليس قبل أن تخبريني، لماذا قطع
كل هذا الشوط لتقابليني في الدرجة الأولى، ولماذا أردت
تحولي نفسك إلى درع بشرية لتحميني من الحارس.»

«لقد سبق وأخبرتك. لقد حللت مكان بول، لأنه طلب من
ذلك.» تمتمت وما تزال لا تعي نفسها. ليس فقط بسبب العواط
العديدة والمتضاربة التي تمزقها، ولكن بسبب قربه منه

صرت على أسنانها وقالت: «لقد تأكدت الآن من أنها لم تكن
كرة حسنة.»

ابتسامته الباهتة سخرت منها. «هل صدمت لأنني استغللت
قدمته؟ هل سهى عن بالك، أني رجل كما أني مجرم محكوم
عليه؟ بالإضافة إلى أنه حرم من رؤية النساء لمدة طويلة في
وقت الحاضر؟ عليك أن تعتبري أنك قدمت نفسك على طبق من
فضة.» ضحك وأضاف: «يجب أن أعترف، في اللحظة التي
تنشقت رائحة عطرك، نسيت كل شيء عن لباسك الكهنوتي
وبدأت أتخيل...»

«كيف تتجرأ وتتكلم معي هكذا؟» أنّبته بصوت أبح، ومدركة
أنها وقعت في المتاعب.

«أتجرأ، لأنك رميت بنفسك علي.» تحولت ضحكته إلى
قهقهة شيطانية. وقبل أن تدرك ما يحصل، عانقها ثانية،
منتزفاً مقاومتها. حاولت التملص من دون جدوى وضحك
لها بذلك.

أسوأ ما في الأمر، أنها أصبحت ترغب بقربه، أمر لم يحدث
لها من قبل، حتى مع مارك. كانت تقاومه ولكن ليس بالقوة
الكافية لأن عينيه أسرتاها ولم تتركا لها خياراً

أخيراً، تملصت منه، وتمتم في اذنها: «هل قررت فجأة أن
روحي ليست أهلاً للخلاص وأنني غير جدير بالتوبة؟ كل ما
عليك هو أن تخبري الحارس بما يحدث. وهو سيتكفل بالباقي
متأكد من عدم إمكانية إرهاب راعية أبرشية، كان من سوء
حظها، التجول في معقل للشيطان.»

وكأنما الحارس شعر بأن الكلام موجه إليه فقال: «انتهى
وقت المقابلة يا هاستينغز! عد إلى زنزانتك!»

«أشكرك على هذه الزيارة. ربما لم يكن في نيتك أن تجري
المقابلة على هذا النحو. ولكنك أعطيتني شيئاً كي أحلم به. هل
أستطيع عناقك ثانية؟»

من دون أن ينتظر ردها انحنى عليها ولثم خدها. تنهدت
وابتسمت. «هذا شعوري تماماً. اخرجي الآن من هنا. اذهبي إلى
البيت حيث تكونين في مأمن من الأشرار أمثالي.» ابتسامة
المتهكمة كانت آخر ما رأته قبل أن يهرع خارجاً من الغرفة

تركتها المقابلة واهنة إلى درجة أنها أمسكت بالكرسي
لتوازن نفسها. هرعت إلى الغرفة المجاورة عندما عاد إلى
توازنها ووضعت أغراضها في الحقيبة وغادرت الكنيسة.

لم تستطع أندريا أن تتذكر كيف جرت عبر مكتب الزيارة
إلى سيارتها والانطلاق بها إلى البوكركي. كل ما تعرفه أنها
اجتازت منطقة ممنوعة، وأنذروها بطريقة أخافتها حتى
الموت. أدين لوكاس هاستينغز في ما أطلق عليه المحلفون
قضية مفتوحة وواضحة. شعرت أندريا من تصرفه اليوم، أنه
صوتت حقاً، إلى جانب العدالة.

لماذا لم تكتشف الجانب السيىء والمتعجرف والهمجي من
شخصيته في قاعة المحكمة، كان سؤالاً من غير جواب. على
الأقل، إنها لن تراه ثانية، أبداً. نسيانه، يعني أن تضع تجربتها
معه وراء ظهرها، وأن لا تتكلم عما حدث في ردبلوف مع أي كان
بمن فيهم بول. حتماً، ستتلاشى ذكرى هذه الحادثة من مخيلتها

في الوقت الحاضر، عقدت النية على أن تغير طريقة
معالجتها لأمور الحياة من الآن وصاعداً، لن تدع بول يتهمها
بأن قلبها يسيطر على عقلها. لقد انتهت هذه الأيام إلى غير
رجعة.

الفصل الثالث

«يؤسفني أن أخبرك يا أندي، أنه يجب أن تضربي الكرة
هكذا إذا أردت أن نربح المباراة!» عرض ريتشي براعته في
تمرير الكرة فوق العارضة في ملعب الأبرشية فيما وقف
أعضاء الفريق... وكلهم من المراهقين... يراقبونه.

«ربما يجب عليكم، أنتم الشبان، التمركز في المقدمة، وأنا
وليزا ندافع في المؤخرة.» أجابت أندريا ممازحة وغامزة من
قناته، ثم ابتسمت لليزا التي كانت تجد صعوبة في صد كرة
الفريق الآخر.

تقمص ريتشي دوره كمدرب مؤقت بجدية. حاولت أندريا أن
تتبع توجيهاته، ولكن كلما أتت الكرة ناحيتها، كانت تضيّعها
بضربة غير موفقة. لم تكن بارعة بلعبة الكرة الطائرة ولكنها
كانت مصممة على اتقان هذه الرياضة ولو قتلتها.

ستقام بطولة الفرق التابعة لمجلس رعاية الشباب المتحد،
بكرة الطائرة بعد شهرين، في نهاية شهر شباط. وكي تأتي هذه
المباريات مثيرة أصدر المشرف على القطاع الغربي للاتحاد
الكنسي قراراً بأن يشترك باللعب مع فريق الأبرشية. بما أن
الطبيب المشرف على بول لم يسمح له بالقيام بهذا النشاط
الزائد، أصبح من البديهي أن تتحمل أندريا هذا الشرف.
احتجت كثيرا ولكنها وجدت أن لا مفر لها من الانضمام إلى
الفريق.

صففت شعرها على شكل كعكة مثبتة بالدبابيس فوق

رأسها، واتخذت مكانها داخل خط التماس، حسب ما أشار عليها ريتشي. عندما أرسل الفريق الآخر الكرة باتجاهها، تحضرت لردها عالياً. شعرت بالهلع عندما وجدت نفسها ترسل الكرة للخلف بشكل قوس.

انفجر أعضاء الفريقين الشبان بالضحك، وانكمش ريتشي على نفسه من اليأس، مما أوقف التمرين. استلقى على وجهه وأخذ يتخبط مثل طفل، على الأرضية المكسوة حديثاً بالشمع، متظاهراً بالغضب الشديد.

توردت وجنتاها من الارهاق والحرج ومسدت سروالها الزهري القصير وكنزة التمرين البيضاء، التي يرتدي مثلها كل أعضاء الفريق. «أعلم أن عليّ أن أتعلم الكثير، يا ريتشي غرين، ولكني لست بهذه الرداءة.»

«هذا رأي شخصي.» مازحها مات كارانزا ثم منحها ابتسامته الساحرة التي أكسبته لقب الشاب الأكثر وسامة في مدرسته.

«أشكرك على تصويتك بإعطاء الثقة يا مات.» تمتمت أندريا.

«في المرة القادمة، عندما تحتاج إلى خدمة كبيرة مني، تذكر أولاً ما حدث هنا، اليوم.» غمزت بعينها وهي تقول ذلك، ثم هرعت إلى مؤخرة الملعب كي تأخذ الكرة.

عندما انحنت لالتقاط الكرة سمعت تعليقاً ساخراً من رجل كان يقف أمام باب الملعب: «للحقيقة، الأولاد معهم الحق.»

تجمدت يداها على الكرة.

لقد عرفت هذا الصوت.

هذا الصوت لا يملكه إلا رجل واحد. رجل، أقسمت منذ عدة أشهر على أن تنساه، رجل أملت وتوقعت أن لا تراه أبداً. متى

أطلق سراحه من السجن وكيف عرف أين يجدها؟ تساءلت متعجبة.

أرسل الفزع الادرينالين متدفقاً في شرايينها، وعندما رفعت رأسها، التقت نظرتها الزائغة بنظرة لوكاس هاستينغز المتفحصة. وأحست أن جسمها كله قد شلّ فجأة.

كمن يشاهد فيلماً ملوناً، استعادت أندريا ذكرى لقائهما الأخير في مخيلتها، وتغيرت معالم وجهها.

وقف مستنداً إلى الباب، وبدا أضخم مما هو في الحقيقة، حليق الذقن، يرتدي سروال جينز أبيض اللون وكنزة رياضية سماوية اللون. تذكرت بوضوح تصرفه الوقح في الحجرة الصغيرة المحاذية لكنيسة السجن. قال بعد أن رمقها بنظرة اعجاب: «يسعدني أن أعرف أنك لم تنسني. كما اكتشفت، من دون ريب، أن بعض الأحداث لا يمكن محوها أبداً من الذاكرة.»

ظنت أنها عانت منه ما يكفي من الهوان في أسوأ صوره، ذلك اليوم في السجن، ولكن لا يبدو ذلك صحيحاً. فمن الواضح أنه يجد متعة منحرفة بتذكيرها باللقاء، الذي حاولت من دون جدوى نسيانه، لقاء كشف عن الجانب الانساني في طبيعتها. يعرف أن باستطاعته إضاعة رشدها، حالما يلمسها، وتبين لها، أن ذلك يوفر له متعة، لا نهاية لها. نهضت وهي تشعر بالدوران من جراء حضوره، ونسيت أن تلتقط الكرة. أخذت تخبره أنه غير مرحب به في الكنيسة ولا شأن له بالاقتراب منها. ولكن كلماتها تحشرجت عندما انحنى والتقط الكرة وتوجه نحو الأولاد المتحلقين حول شبكة الكرة الطائرة.

«ماذا تظن نفسك فاعلاً؟» صرخت وهرعت خلفه ولكنه تجاهلها.

«مرحباً يا شبان، أنا لوكاس هاستينغز، ولكن أصدقائي يدعونني لوك.» تلاقت عيناه، للحظة مع نظرة أندريا الحانقة، وذكرها ذلك باللحظة التي نادت فيها: «لوك يا عزيزي!» عندما كانت في السجن. شعرت بموجة من الحرارة تسري في جسمها من جراء ذلك.

«أخبرني كاهن الرعية ياتس، أن مدرب الفريق تخلى عنكم بعد عيد الشكر. وبما أني كنت أمارس لعبة الكرة الطائرة في الجامعة، قررت التطوع للحلول مكان المدرب.»

ظنت أندريا نفسها تحلم. وبدا على الأولاد عدم الاكتراث بعذابها، بعدما آثار حماسهم الرجل الرياضي الوسيم الذي سيصبح مدربهم. وفي الواقع، صدمت وهي تشاهد كيف استحوذ على انتباههم بسهولة.

صفقوا وهتفوا له، وسألوه عشرات الأسئلة، دفعة واحدة. هل كان يعرف أن مباريات البطولة ستبدأ الشهر القادم؟ هل يستطيع أن يدربهم على حركات جديدة كي يتغلبوا على منافسيهم؟ وهل سيستطيع تعليم الراعية مايرز كيف ترسل الطابة بصورة حسنة؟

أغرق السؤال الأخير، الجميع بالضحك ونظروا نحوها كي يعرفوا ردة فعلها. ولكن أندريا ما زالت تعود إلى وعيها بعد الصدمة التي عانتها من جراء رؤيته ثانية. قسم منها شعر بابتهاج وحماس رغماً عنها، وقسم آخر ارتاع لظهوره الجريء في معقلها الأخير والآمن.

لماذا لم يقل بول شيئاً بهذا الشأن؟

تاقت كي تستجوب رئيسها، ولذلك هرعت خارج الملعب، وهي واعية لنظرات لوكاس هاستينغز التي لاحقت خطواتها حتى اختفت وراء الباب المزدوج.

وجدت بول في الكنيسة يدل عمال الصيانة على الأعطال في [illegible] التدفئة. اعتذر منهم عندما رآها وسار إلى حيث وقفت [illegible].

[illegible] الخطب يا أندي؟ تبدين منزعجة.»

«أجل، أنا منزعجة من تسلل لوكاس هاستينغز، منذ دقائق، إلى الملعب وأعلن نفسه المدرب الجديد. لقد نسيت موعد اطلاق [illegible]، بالإضافة إلى أنه لم يكن عندي فكرة في أنك قابلته. [illegible] ومتى حدث ذلك؟ من المفترض أن تتحدث معي أولاً، قبل أن [illegible] منه تدريب الفريق.» قالت وهي تحاول أن تهدىء نفسها.

«تعالي إلى مكتبي، حيث باستطاعتنا أن نتكلم على انفراد.»

[illegible]، بعد أن أخبر العمال بأنه سيعود، عبر الردهة. لم تستطع [illegible] تذكر أي واقعة استاءت فيها من بول، ولكن وجود [illegible] هاستينغز في الملعب، أفقدها أعصابها تماماً.

[illegible] بول الباب وراءهما. «لماذا لا تجلسين؟»

«لا أستطيع.» قالت فيما صدرها يعلو ويهبط من جراء [illegible].

[illegible] على جانب الطاولة وحدق إليها بحيرة. «لم يقع نظري [illegible] إلا منذ نصف ساعة.»

[illegible] عينا أندريا. «لا ريب، أنك تمزح.»

«كلا.» هز رأسه برصانة. «كما تناهى إلى سمعي، لقد اتصل [illegible] بالكنيسة يوم الخميس، مستعلماً، وقد أخبرته دوريس [illegible] نعمل أيام السبت. وهكذا أتى إلى مكتبي وطلب التكلم [illegible]. ولم يندهش أحد مثلما اندهشت أنا، عندما ذكر اسمه.

«لا أصدق ذلك.» تمتمت وكأنها تحادث نفسها، ثم احتضنت [illegible].

«قال لي ببساطة، إنهم أطلقوا سراحه من السجن ويريد
القيام بعمل مفيد في أوقات فراغه. كان يحمل الدليل الذي
وزعته عندما ألقيت عظتك في السجن.» توضحت الأمور لها
إذاً، هكذا استطاع العثور على مكاني. «قال إن ما قلته عن
العمل التطوعي، أثر به كثيراً.»

«ولكن هذا مستحيل.» فكرت بصوت مرتفع وهي تتذكر
الطريقة المهينة التي خاطبها بها، ورفضه لكل شيء مقدس.

«على ما يظهر، ليس مستحيلاً.» استطرد بول، من دون أن
يعي اضطراب عواطفها. «على ما يبدو، لقد كنت الوسيلة التي
هدته.»

«لا.» هزت برأسها. كان بول يعترف لها بجميل لم يكن من
صنعها. الآن، وفي أي لحظة، ستجد نفسها تعترف
بالحقيقة.

«لا تتواضعي.» وضع يده على كتفها. «سررت، بالطبع،
لطلبه، وأخبرته بأن لدينا عشرات المشاريع التي تحتاج إلى
متطوعين. عندما تفحصنا اللائحة، قال إنه يشعر بأن أفضل
عمل له سيكون في المجال الرياضي.» اتسعت ابتسامته.
«استجاب الله لصلواتنا، بما أن موعد المباريات قد اقترب
وأرسله إلينا. بعد أن قلت له إنك في الملعب تتدربين، أجاب أن
أفضل وقت قد يبدأ عمله، هو الآن وحالاً.»

توقف عقل أندريا عن التفكير وأشاحت بنظرها، تحاول أن
تستوعب واقع الأمر، بضربة مؤقتة وذكية، استطاع لوكاس
هاستينغز أن يتغلغل في حياتها. وببساطة لم تقو على
استيعاب ذلك.

«بريئاً كان أم مذنباً. لقد دفع ما عليه للمجتمع وسيحـ

صحيفة السوابق لبقية عمره. هل تهشمينه تحت قدميك وهو في
موقع الضعيف؟»

«بالطبع لا. ببساطة، لا أريد التعامل معه البتة.» ما لم تقله
أندريا هو أنها لا تثق بنفسها عندما تتواجد معه. لقد أثار
العوامل العاطفية في نفسها، وهذا ما تخافه.

«أنت على غير طبيعتك يا أندي، لست الشخص الذي أعرف
وأحب. إنه من الرعية، أيضاً ويحتاج إلى المساعدة.»

«هل تعلم يا بول أن تيسي سلون هي عضو في الفريق. كيف
سيتصرف أهلها عندما يعلمون أننا طوعنا مجرماً سابقاً
ليكون مدرب الفريق؟ أنت تعلم أيضاً أنهم سيسببون لنا
المتاعب. أوه لو نسمع رأي مايبل جونز في هذا الموضوع.
تذكر كلامي، عندما ينتشر الخبر، لن يتبقى لديك غير نصف
فريق.»

«لهذا طلبت من السيد هاستينغز أن يجلس مع الأولاد
ويخبرهم الحقيقة قبل القيام بأي شيء آخر. وليأخذوا
قرارهم بأنفسهم بعد ذلك، فأنا أثق بحكمهم.»

«ليس الشبان ما يقلقني. إنهم أول من يتصدى للدفاع عن
المستضعفين. بالإضافة إلى أنه استحوذ على اهتمامهم منذ
لحظة دخوله الملعب.»

«له حضور... مميز.»

كانت أندريا تفضل الموت على الاعتراف بأن بول على حق.
«لا أعتقد أنه قال لك، إنه لا يؤمن بالعدالة السماوية.»

هز بول رأسه نافياً: «لم نتطرق لهذا الموضوع. وفي أي
حال ما يهمني في انسان، هو ما يفعل وليس ما يقول. كوني
صادقة مع نفسك يا أندي، لقد قابلته في أحلك ظروفه، ولكن

أنت من قال، معتمدة على تجربة شخصية، يجب أن لا تأخذ الأمور بظواهرها.»

ارتعشت لأن تأنيبه لها أصابها في الصميم. «كل ما أعرفه، هو أني ارتكبت خطأ فادحاً بالذهاب إلى السجن بدلاً منك، وأنا أدفع الثمن الآن. إذا لم يكن عندك من مانع، سأذهب إلى البيت. مهما يجري الآن في الملعب، فالأفضل أن لا أكون هناك. سوف أراك في الصباح، وأنا متشوقة لسماع عظتك.» ربتت على ذراعه. «أنا آسفة لأني خيبت أملك فيّ. وفي هذه اللحظة بالذات لا أشعر بالرضى عن نفسي، و... وأحتاج إلى بعض الوقت كي أخلو بنفسي وأفكر.»

تركت غرفته، قبل أن يتمكن من إضافة أي شيء، واتجهت نحو مكتبها، حيث بدلت ثيابها، ارتدت سترة ذات قبعة، كي تحميها من البرد القارص. حيّت العاملين مودعة وخرجت من باب جانبي. كان من المستحيل أن لا تلاحظ سيارة ال ب.أم.ف المكشوفة والمتوقفة بين سيارة بول الكرايزلر وسيارة الفان الخاصة بالعمال.

ليس كل مجرم سابق يخرج من السجن ويقود سيارة بهذه الفخامة. عاودتها كلمات مايبل عن افتراء سماسرة الأسهم المالية، الأثرياء، فيما كانت تنطلق بسيارتها الصغيرة على الطريق العام. ما أن يحل الغد إلا والأخبار قد تنتشر في كل الأبرشية، وهكذا سترابط مايبل أمام باب شقتها وهي تتحرق لمعرفة المزيد من التفاصيل.

أوقفت أندريا سيارتها لتتناول شطيرة هامبرغر ثم اتجهت إلى البلدة وقادت سيارتها لعدة ساعات من دون هدف محدد. كانت تحتاج لهذه السلوى قبل أن تأوي إلى منزلها وتعاني من

الأرق الذي سيصيبها. احتاجت لعدة أسابيع، بعد المحاكمة كي تبعده عن تفكيرها. ثم عانت كثيراً من الأرق بعد زيارتها للسجن. والآن سيعاودها الأرق وتعاني ثانية ولا يلوح في الأفق إلا حل واحد لمعالجة هذا الوضع، أن تطلب نقلها إلى أبرشية أخرى بعيدة. برغم ذلك، سيمضي وقت طويل قبل أن تشعر بالراحة النفسية، هذا إذا حصل أبداً.

سمته مايبل الشيطان، ولكنه وسيم. قدرت أندريا أن الاسم ينطبق عليه، لأن لديه ميل لإثارة المتاعب. أصبح طليقاً الآن، وبموارده غير المحدودة وذكائه الحاد الذي لا يشغله العمل، ما الذي سيعيقه عن مضايقتها... هذا الرجل كان من الغباء بحيث تحرش بها في السجن.

أحست بالحرارة تسري في جسمها عندما تذكرت ما حدث لها في السجن. شدت على مقود السيارة، استدارت واتجهت نحو منزلها.

عندما وصلت إلى حارتها، كانت قد وصلت إلى نتيجة مفادها أن الرجل منغلق ويحتاج إلى شيء مثل التدريب كي يشغل وقته حتى يتسنى له الامساك بزمام حياته ثانية.

وصلت إلى شقتها، استحمت واستعدت للنوم. ثم جلست إلى الطاولة وكتبت مسودة رسالة دينية كي تنشر في صحيفة أخبار الأبرشية. ظلت تكتب حتى الثالثة صباحاً، وحتى انزلق القلم من بين أصابعها، الإشارة الأولى على أنه أصبح بمستطاعها النوم قبل أن يشرق نهار الأحد المزدحم بالأعمال.

لم تستطع أندريا تذكر أي مرة، تأخرت فيها عن الذهاب إلى الكنيسة، ولكن منذ ظهور لوكاس هاستينغز في حياتها المنتظمة، لم يبق شيء على حاله. شعرت أنها مضطربة

عاطفياً وروحياً، وهو أمر لم يحدث لها منذ زمن طويل، عندما قررت حينذاك أن تتكرس راعية أبرشية.

تبدأ جوقة الشبان عملها الساعة الثامنة والنصف، ويتبعها درس ديني في التاسعة والربع. تقام صلاة الأحد في العاشرة والنصف. تصل أندريا، عادة، الساعة السابعة وتفتح المكتبة أمام المدرسين، ترد على الهاتف وتتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام.

ولكنها لم تصل إلى الأبرشية، في هذا الصباح، حتى الساعة العاشرة إلا ربعاً. وجدت كل شيء يسير على ما يرام ولم تندهش لذلك، لأنها كانت متأكدة من أن بول سيهتم بكل الأمور الطارئة.

شعرت أنها متسللة وهي تهرع عبر القاعة الخلفية إلى مكتبها، تأمل أن لا يشاهدها أحد. ارتدت ملابس الكهنوت بعد أن أغلقت الباب وراءها، ثم اتجهت نحو الردهة لتساعد بول في تحية الرعية.

درج بول على عادة استقبال أفراد الرعية صباح كل يوم أحد منذ عدة سنوات. وعندما عينت أندريا بعد تخرجها من كلية اللاهوت في كاليفورنيا، مساعدة لراعي الأبرشية في البوكركي عاصمة نيومكسيكو، استمرا في هذه العادة. كانت دائماً تعتبره مثالها الأعلى ومرشدها وأعجبتها طريقة تقربه من الناس.

اجتمع أفراد الجوقة الرئيسية بأرديتهم في القاعة تحضيراً لبدء القداس. حيّت أندريا كل فرد منهم، فيما ملأت موسيقى باخ الأجواء. هرعت لتأخذ مكانها مقابل بول قرب الباب الأمامي.

حياها برغم انشغاله بمحادثة عروسين، انتقلا حديثاً إلى الأبرشية. عرفت من إشارته الخاصة أنه تفهم سبب تأخرها ولا يلومها للغفران، وأحبته لذلك.

امتلأت الردهة بالقادمين بسرعة. حيّت أندريا عدداً منهم، رحبوا بمثابة أفراد عائلتها واستعلمت عن صحتهم وأخبارهم. صافحت القادمين الجدد وطلبت منهم أن يستفهموا عن أي شيء وأن يأخذوا معهم المنشورات الموضوعة على منصة في القاعة الأمامية.

«زينا!» هتفت مندهشة عندما استدارت لترحب بالتالي في الطور وشاهدت باربرا وأمها تقفان أمامها.

«صباح الخير، أيتها الأخت.» قالت المرأة المسنة بصوت هادىء: «لقد أمضيت أسبوعاً جميلاً، وأتساءل في ما إذا كان باستطاعتي حضور اجتماع الليلة في منزلك.»

سرت لأن زينا قررت أن تنضم إلى مجموعة الترويح وقالت: «أنت على الرحب والسعة، سأكون في انتظارك، الساعة السابعة.»

«سنكون عندك.» أكدت لها باربرا.

حالما ابتعدتا، مدت أندريا يدها آلياً لتصافح التالي... رأت أن يد لوكاس هاستينغز احتوتها بشدة. وكي يزداد الأمر سوءاً، لاحظت أن مارغو سلون تقف وراءه مباشرة.

كانت نوعاً ما تتوقع قدومه. مرة أخرى تجد نفسها أسيرة فيما لمسته أرسلت موجة من الارتعاش في جسمها. لا ريب أنه أحس بردة فعلها، وشعرت بسبب ذلك بالمهانة أكثر... خاصة وأن مارغو سلون كانت تراقب كل حركة من حركاتهما. طبعاً! لا يمكن لهذه المرأة المسنة أن تدرك التيارات الخفية

والخطرة التي تجري بينهما. حدقت أندريا إليه بخوف ورأت التحدي الساخر في نظرته.

«هل تظنين أن صاعقة سوف تصيبني، إذا قلت لك كم تبدين جميلة هذا الصباح، في ثوبك الكهنوتي.» تمتم برقة.

استغل لوكاس لحظة ذهولها، شد على يدها وقربها منه قليلاً.

«لا عجب أن الرجال لا يستطيعون التوقف عن التحدث عنك. لقد أحسنت التصرف عندما لم تأتي لزيارة السجن مرة ثانية. فهاتان العينان البنفسجيتان، الرائعتان، تكفيان، وحدهما كي تسبب عصياناً وتمرداً بين السجناء.» برغم هدوئه، لم تشك في أنه قد يثير المتاعب، وتساءلت عن كيفية التخلص منه.

قالت، من جراء هلعها، ما لم يكن من شيمها: «لم تكبح، الستة شهور التي قضيتها وراء القضبان، ميلك للمخاطرات، الأمر الذي يعيدك بسهولة إلى السجن.»

أطلق قهقهة خافتة وضغط على يدها أكثر. وتبين لها من ضحكته القاهرة، أنه لم يكترث بتهديدها. وما زاد الأمر سوءاً تأثرها بجاذبيته الفتاكة التي أظهرتها هذه الضحكة، مما جعل قلبها يثب برغم شكوكها في أنه رجل لا جدوى منه.

«لا أعتقد أن أي رجل، مجرم سابق أم غيره، أُرسل إلى السجن لأنه أطرى امرأة جميلة. حتى ولو كانت كاهنة.» داعب بابهامه راحة يدها، ولدهشتها أرسلت لمسته تياراً كهربائياً سرى في جسمها كله، وكانت واثقة من أن باستطاعة مارغو سلون إدراك ما يحدث.

«أنت تعيق تقدم الآخرين، المنتظرين وراءك.» تمتمت وهو تصر على أسنانها: «لقد ابتدأت المراسم، هل أفقدك السجن اللياقة الاجتماعية والتهذيب؟»

حاولت أن تسحب يدها من قبضته، من دون أن تلاحظ مارغو أو غيرها أي شيء، ولكن محاولتها باءت بالفشل.

«سأطلق يدك على شرط واحد.»

شعرت لحظتها، أن خديها يحترقان. «أنت لا تطاق.»

«هل تريدين أن تسمعي الشرط؟» همس السؤال بنبرة تحذيرية.

لم تستطع التكلم لشدة انزعاجها، فاكتفت بالتحديق في عينيه ببرودة الجليد.

«بيننا عمل لم يكتمل. سآتي إلى منزلك الليلة.»

«لا.» قالت بحدة: «عندي عمل هذا المساء.»

«أخبرتني ليزا جنينغز كل شيء عن الاجتماع الذي سيعقد الليلة في منزلك، وقد قررت حضوره. إلى اللقاء يا أخت.»

أفلت يدها ودخل الكنيسة لا مبالياً، فيما أندريا أخذت تمسك نفسها، التي شتتها هذا اللقاء. لم تشك في جدية كلامه، في أنه سيأتي إلى منزلها في المساء. ويظهر أنه أصبح أكثر تصميماً على المجيء عندما أدرك رفضها لذلك. اللوم يقع على ليزا. كان واثقاً من ترحيبها به، لأنها أخبرته بأن الاجتماع مفتوح لكل من يود حضوره.

اختار لوكاس هاستينغز الشابة الأكثر هدوءاً وخجلاً من بين الفريق من دون أن تعي ليزا ذلك، حصل منها على المعلومات التي يريدها، وفي الوقت نفسه أشعرها بأنها فتاة مميزة. وهذا برهان على خطورة هذا الرجل.

«صباح الخير. يا كاهنة.» قطعت مارغو على أندريا أفكارها، بصوت أجش. إنها تريد احقاق الحق. مزقتها نظرة الاتهام التي رمتها عليها المرأة المسنة، وحضّرت أندريا نفسها للهجوم.

«سيدة سلون، كيف حالك هذا الصباح؟»

«أردت التحدث مع القس ياتس حول عدم المسؤولية التي أظهرها بتعيين مجرم سابق لتدريب الأولاد. ولكن بعد أن رأيت ما حدث الآن، كان يجب أن أدرك أنه لم يتوصل لهذا القرار غير الحكيم بمفرده.»

شعرت أندريا برغبة قوية كي تقول لمارغو الحقيقة... ليس فقط أنها لم تحث بول على ذلك، بل أنها أيضاً عرّضت علاقته مع راعي الأبرشية للخطر بسب معارضتها لتعيين لوكاس هاستينغز. ولكنها حكّمت عقلها وعدلت عن ذلك. لم تستطع المرأة الأخرى قط، تقبل أندريا كأحد أعضاء الأبرشية، وجعلت من نشر أقل خطأ ترتكبه على كل الأعضاء الآخرين، مهمة شخصية.

«إذا كان هذا الأمر يقلقك.» أجابت أندريا بحدة: «فأرجو ترفعي هذا الأمر إلى مجلس الكنيسة. اتصلي بهال نيف، أردت أن تدعي إلى اجتماع... فهو رئيس المجلس الحالي توقفت عن الكلام عندما لاحظت بول يتجه إلى مقدمة القاعة

«أرجو المعذرة. إنهم على وشك البدء بمراسم الصلاة.»

هرعت أندريا إلى داخل القاعة من دون أن تنتظر جو واتخذت مكانها وراء أفراد الجوقة الذين اصطفوا في الم الرئيسي وساروا على وقع الأنغام المتصاعدة من الأرغن

ركّزت أندريا نظرها بتصميم على زجاج النافذة الملون كل خطوة من خطواتها. ولكنها لم تستطع أن تنسى و لوكاس هاستينغز بين المصلين وهذا الأمر سيطر تفكيرها. بدا كل شيء غير حقيقي حتى وصلت إلى الم واستدارت على نفسها.

المراسم الدينية تأخذ من الوقت ساعة وربعاً، وكانت أندريا، عادة، تستغل هذا الوقت في العبادة والصلاة إلى أقصى الحدود. ولكن تضارب عواطفها، هذا الصباح، شغلها عن ذلك. عاجزة عن القيام بأي شيء آخر، وجدت أندريا نفسها تحدق مرة بعد أخرى إلى الرجل الذي يجلس في الوسط. الرجل ذي الوجه الوسيم الذي يرتدي بدلة داكنة، أنيقة وبدا مميزاً عن بقية المصلين. بعد انتهاء المحاكمة مباشرة، وجدت أندريا نفسها، تحلم أحياناً بلوكاس هاستينغز. وتخيلت أنها تعرفت إليه في ظروف مختلفة. حدث ذلك قبل أن تكتشف الجانب المظلم من طبيعته. أصابها الخجل من نفسها مرة أخرى، وقد تذكرت كيف اقتربت وعانقته كي تحميه من الحارس، وكيف استغل لوكاس هذا الوضع وأضاع صوابها.

غرقت في حيرتها إلى درجة أنها لم تسمع عظة بول الملهمة. أنّبت أندريا نفسها عندما أدركت كم شرد عقلها وجاهدت كي تركز على ما يقول.

استنتجت مما سمعته، أن ما من أحد من المصلين أتى وهو يحمل ضغينة في قلبه تجاه الآخرين، إلا وغيرته كلمات بول وحثته على النظر إلى أخطائه والتوبة.

لا ريب في أن مسألة لوكاس هاستينغز وجدارته في الاندماج في المجتمع، كانتا السبب في اختيار بول لموضوع العظة. لم تستطع أندريا إلا الاعجاب برئيسها، الذي تحدى جميع أعضاء الكنيسة، بمن فيهم مارغو سلون المتعجرفة، وكفل بشجاعة مجرم معروف.

ولكنه لم يعترف بجرمه. همس صوت من داخلها، وفي آن تلاقت نظرتها مع نظرة لوكاس هاستينغز عبر القاعة. تراجعت

أفكارها لوهلة إلى قاعة المحكمة، وإلى حين ظهر في عينيه الألم العميق والحيرة قبل أن يكبلوه بالحديد ويأخذوه.

تضخمت في عقلها مسألة براءته أم عدمها، أكثر من ذي قبل، برغم أن القضية انتهت، فقد قضى مدة عقوبته ويستعد الآن لاستئناف مكانه الطبيعي في المجتمع.

لماذا؟ ما الفرق؟ هل من سبب وجيه، في أن يصبح شأن لوكاس هاستينغز مدعاة لاهتمامها الآن؟

خافت من استنتاج الجواب، وتسللت عبر باب جانبي عند انتهاء مراسم الصلاة، وذهبت مباشرة إلى مكتبها. زارها فيض من المصلين في المكتب، يسألون عن العبادة والتبرك والزواج، مما أشغلها كثيراً وأبعد تفكيرها عما سيحدث في المساء على الأقل، حتى صعدت إلى سيارتها وانطلقت بها إلى البيت.

عندئذ فكرت بما يحتمل أن يحدث إذا سمحت للوكاس بدخول شقتها، هالها ذلك، ومن دون وعي، تخطت إشارة المرور الحمراء وكادت أن تصطدم بسيارة قادمة من الاتجاه الآخر، غضب سائق السيارة الأخرى، وكان على حق. أطلق بوقه لثوان طويلة فيما أكملت أندريا سيرها وهي ترتجف.

لم تعرف ما إذا كان سبب ردة فعلها هذه هو الذي أوشكه على الاصطدام أم دخول لوكاس هاستينغز إلى حياتها... في اللحظة التي بدأت فيها تفكر برمي المسألة برمتها خلف ظهرها.

الفصل الرابع

تفحصت أندريا الأشخاص التسعة المتحلقين في غرفة الجلوس. حتى اللحظة لم تحضر بربارة وامها. ولا حضر لوكاس هاستينغز.

كانت تعرف كم يتمتع بمضايقتها. وافترضت أنه ربما هدد بالقدوم إلى منزلها من دون أن تكون عنده النية للقيام بذلك. حاصرتها، فكرته عن الانتقام، بطرق لم تعهدها أو تتخيلها من قبل. وباستطاعة رجل مثله، يمضي فترة في السجن القيام بأي عمل تقريباً، ولهذا ترفض بمرارة تقبل تدخله في حياتها.

ومن السخرية، أن اللوم يقع عليها. لقد ورطت نفسها في هذا الوضع. كان غضبها يتفاقم طوال فترة بعد الظهر، وهي تفكر في الورطة التي تنتظرها عند المساء. وكان جسمها ينضح بالعرق كلما سمعت رنة جرس الباب.

نظرت إلى ساعتها ثانية. «الساعة تشير إلى السابعة وعشر دقائق.» قالت للمجموعة: «سنبدأ بعرض شريط الفيديو، برغم أني أتوقع وصول آخرين، كي يبقى عندنا وقت كافٍ للنقاش في ما بعد. الشريط يدعى تقبل الأزمات. لقد حصلت عليه من استاذ علم النفس في كلية لاهوت أوكلند. لم أشاهد فيلماً أفضل منه في معالجة هذا الموضوع. يجب أن يشاهده جميع أفراد الرعية.»

وافق الجميع على عدم الانتظار أكثر، وتجاوبوا معها بحماس.

«دعيني أساعدك.» عرض عليها نيد ستيفنز مبتسماً،

وبسرعة أطفأ الأنوار فيما أدارت أندريا جهاز الفيديو. كان أحد الرجلين اللذين قالت عنهما دوريس، إنهما أبديا اهتماماً بأندريا. ولم يكن هذا أول اجتماع يحضره. وصوله المبكر وتحمسه لمساعدتها في صف الكراسي التي استعارتها من الكنيسة، أكدا لأندريا صحة ظنون دوريس.

انتقل، بعد حصوله على الطلاق من زوجته التي هجرته، للاقامة في جوار الأبرشية. وتفرغ هذا الصيدلي ذو الشعر الأشقر لتربية طفليه. كانت أندريا تشعر بتعاطف شديد معه. في ما عدا مارك، كان ألطف شخص قابلته في حياتها. أي علاقة معه، غير علاقة الكاهن بالرعية، كانت غير ممكنة، ليس فقط بسبب قانون الأبرشية الذي يتعلق باقامة علاقات بين الرعية والكهنة، ولكن لأنها لم تشعر بأي انجذاب نحوه. لم يوقد النار فيها.

ما كادت تجلس على الأريكة، حتى رن جرس الباب، نهضت بتوتر واتجهت نحوالباب، ولكن نيد كان أسرع منها إليه. أوشكت أندريا على الصراخ بشكل هيستيري، عندما رأت أن القادم هو مايبل، التي هرعت واستولت على مقعدها. اتكأت إلى أقرب حائط كي لا تنهار.

لم تأت مايبل، قط إلى اجتماع مساء الأحد. مما يعني أن مارغو سلون قد نشرت الأقاويل في ظلام الليل عبر الهاتف. غطت أندريا وجهها براحتي يديها، متسائلة عن كيفية معالجه هذا الوضع الذي يزداد تعقيداً.

برغم أن الفيلم الوثائقي يوفر حلاً لمعظم المعضلات، لكنه لم يشر إلى التعامل مع رجل لا يسبر غوره مثل لوكاس هاستينغز. أخذت أندريا بالتفكير جدياً بالغاء الاجتماع وبالطلب من الجميع

الذهاب إلى منازلهم. ثم باللحاق بهم إلى الخارج والانطلاق بسيارتها إلى منزل دوريس لقضاء الليل هناك.

«جرس الهاتف يدق.» تكلم عدة أشخاص دفعة واحدة. شعرت بالاحراج لاستغراقها في أفكارها المضطربة، تمتمت شاكرة، وأسرعت إلى المطبخ لترد على الهاتف. لقد طلبت تركيب الجهاز في المطبخ لأن ميزانيتها لا تسمح لها إلا بتركيب جهاز واحد، وكي تستطيع أخذ المكالمات وتدوين الملاحظات خلال تناولها الافطار.

ترددت في التقاط السماعة، خشية أن تسمع صوت لوكاس هاستينغز على الطرف الآخر. ولكن المتكلم كان باربرا، التي قالت إن أمها متعبة ولا تستطيع حضور الاجتماع. أكدت أندريا لها تفهمها وأخبرتها بأنها ستزورها خلال الاسبوع وشكرتها على المخابرة.

وضعها الخلاص المؤقت في حالة اطمئنان زائفة. فدفعت الباب الموصل بين غرفة الجلوس والمطبخ، واثقة من نفسها أن الاجتماع على وشك النهاية، ولا يبدو أن لوكاس هاستينغز سيحضر بعد كل هذا القلق. ولكنها كانت مخطئة، أمسكت بحصرها، من لا مكان، يدان قويتان، أوقفتاها عن التقدم. «عذر لتأخري.» متعمداً أم لا، شعرت بلثمة على خدها. «لقد فاتك فيما كنت تتكلمين على الهاتف.»

استدارت عدة وجوه، بما فيها وجها مايبل ونيد، نحوهما. تمنت أندريا لعابها بصعوبة، غير مصدقة، أنه يوجد رجل بهذه الوقاحة. مع ذلك، شعرت بارتياح لقربه منها، وكرهت ذلك الاحساس الذي يثار عند أقل اتصال.

«لم تأسف لشيء طوال حياتك!» تمتمت غاضبة، منه ومن

نفسها. غير مبالية بظنون الآخرين، قفزت مبتعدة عنه وأدهشها أنه تركها تمضي من دون مقاومة.

برغم شغور عدة مقاعد بين أفراد المجموعة المتحلقين حول جهاز التلفزة، اختار لوكاس المقعد بجانب نيد، والذي كان يريد نيد أن تجلس عليه.

أكد عبوس نيد ظنونها. ولاحظت أندريا من التواء فم لوكاس المتعجرف. أنه واعٍ لما يجري. اتكأت أندريا مرة أخرى إلى الحائط، وهذه المرة بسبب الغضب. أدركت أن لدى لوكاس هاستينغز قانونه الخاص، ولا شيء يقف في طريق حصوله على شيء يريده.

استاءت ثانية من نفسها، لعدم قدرتها على سبر غور حقيقة شخصيته. ما الذي جعلها تتصدى لحمايته من حارس السجن؟ كيف استطاعت القيام بعمل متهور كهذا؟

حالما انتهى شريط الفيديو، وقف نيد، وأضاء النور، ولكن ابتسامته تلاشت. لم تفت عليه، ولا على الآخرين، ما بدا أنه علاقة حميمة مع لوكاس هاستينغز. سيصلون، من جراء فضولهم الطبيعي، إلى استنتاجات خاطئة، وينشرون الشائعات في كل الجوار بغضون أيام.

تمنت أندريا بشدة، لو أنها تختفي فجأة من الغرفة. أومأت إلى دينا مايلز كي تتبعها إلى المطبخ، في محاولة لايجاد مخرج من ورطتها. أذعنت الأم المطلقة، التي أصيب ابنها بالشلل من جراء حادثة على دراجته، منذ سنوات، إلى طلبها ولحقتها إلى المطبخ.

قطعتا كعكة الشوكولا إلى قطع مربعة، وطلبت من دينا تقديمها للزائرين. عندما لم تجد أندريا مبرراً آخر لبقائها في

المطبخ، عادت إلى غرفة الجلوس، تحمل معها كؤوس الماء المثلج، ووضعتها على الطاولة أمامهم، كي يشربوا حاجتهم. بعد أن تناولت واحداً، جلست على أبعد مقعد شاغر من لوكاس هاستينغز، وانضمت إلى الأحاديث الجارية بينهم من دون أن تكترث لوجوده.

خاطبتها ميلاني هول الناطقة باسم المجموعة، حالما جلست على المقعد: «كنا بانتظارك، أيتها الأخت. يبدو أن لوك من النوع الخجول، ويرغب في أن تقدميه للآخرين لأنه يعتبرك الشخص الذي هداه إلى الطريق القويم.»

«أخشى أن تكون الأخت خائفة من جرح شعوري.» قطعت كلماته الصمت الذي خيم للحظات. نسيت التحفظ ورفعت نظرها إليه، إلا أنه أشاح وجهه عنها ولم تستطع رؤية تعابير وجهه. «في الحقيقة، لقد سجنت في معسكر رد بلوف الفيدرالي بجرم التزوير والاحتيال.»

استحوذ، بهذا التصريح، على اهتمام الجميع، بمن فيهم أندريا. انتظرت وهي تتوقع أن يردف ويقول للآخرين إنه لم يكن مذنباً، ولكن ذلك لم يحدث.

جزء منها، احترمه للمجاهرة بالحقيقة المؤلمة، من دون أن يحاول تبرير نفسه. وجزء آخر، انكمش على حاله، مثلما ينكمش برعم زهرة عندما تغيب الشمس. ربما كان لوكاس هاستينغز، أخيراً، يعترف بالحقيقة... بأنه خرج عن القانون.

«لكنك دفعت ثمن غلطتك وأصبحت من الماضي.» قال أرنولد ليمس، الذي اضطر إلى اعلان إفلاسه منذ سنوات. ومن ثم، وجد عملاً وبدأ يدفع ديونه، ببطء ومشقة.

استوى لوكاس هاستينغز على مقعده، وأرخى يديه

المشبوكتين بين ركبتيه. «لن أستطيع أبداً، نسيان هذه التجربة، ولكن، أجل، لقد أمضيت مدة عقوبتي، وأريد الآن الاستمرار في حياتي.»

بدا أنه يتكلم الآن بجدية، ووجدت أندريا نفسها، تنصت باهتمام إلى الصوت الغني والرخيم وكأن وجودها يعتمد على ذلك. «أتذكر، منذ أيام الطفولة مزموراً جاء فيه، عندما كنت في السجن، جئت وهديتني.» هز عدد من الحضور رؤوسهم. «وقد نسيت ذلك حتى قامت الأخت مايرز بزيارة سجن رد بلوف.»

مفتونة برغم إرادتها، حدقت أندريا إليه، غير مصدقة، وللحظة، خيل لها أنهما الشخصان الوحيدان في الغرفة.

«استأذنت، حينذاك، من الحارس كي أقابلها على انفراد، بعد أن انتهت من القداس، ولكني فقدت السيطرة على أعصابي وقلت أشياء لا تغتفر. في الحقيقة، أوصلني هذا التصرف إلى حافة التورط جدياً بمتاعب يمكن أن تؤدي لنقلي إلى سجن آخر باحتياطات أمنية شديدة، ولكن الأخت سارعت إلى نجدتي.» تلاقت نظراتهما. «لن أنسى أبداً، أنها هدهدتني في ساعة حالكة.»

سرت حرارة مرتفعة في جسم أندريا، وهي تتذكر الطابع الشخصي والحميم لهذه الهدهدة.

«هل يدهشكم أن تعرفوا، أن لا أحد في حياتي كان بهذه الشجاعة أو قام بعمل مماثل، لا أناني، نحوي؟»

ترقرقت الدموع في عيني أندريا، وأدركت من الصمت الذي ران على المكان أن الجميع قد تأثروا بكلامه. بدا كلامه مقنعاً باخلاص، ولم تدر أندريا ما تصدق.

«لا يدهشني ذلك.» تمتم أرنولد بصوت مخنوق. «أبداً، لأن أندي عندها قلب من ذهب.»

تنهدت ميلاني متأثرة، وبدا أنها تعكس مشاعر جميع الحضور. ربما، ما عدا مايبل، التي تبدو دائماً جامدة التعابير، مما يجعل من الصعب معرفة ما الذي تفكر به. «كلنا نعرف يا لوك، ماضيك. ما هي خططك للمستقبل؟»

كرهت أندريا أن تعترف لأي كان، حتى لنفسها، بأن ما تريده بالفعل، هو الجواب على هذا السؤال بالتحديد... وأجوبة عديدة أخرى لاحقاً.

«كثيرون من الناس لا يعرفون، أن بعد إدانة شخص بأي جرم، تحرم لجنة تبادل الأسهم عليه العمل في هذا المجال لمدة خمس سنوات.»

«هل هذا يعني أنك عاطل عن العمل الآن؟» سألت دينا بتلهف.

«نعم، هذا صحيح.»

جلست مايبل منتصبة على مقعدها. «أعتقد أنه من الصعب العثور على عمل عندما يعرف الناس أنك أمضيت وقتاً في السجن.»

استاءت أندريا من قلة ذوق مايبل، وعدم إحساسها بآلام انسان آخر.

نظر لوك إلى المرأة المتوسطة العمر، بمكر. «أعرف الجواب على ذلك في الوقت الحاضر، هنالك احتمالات عدة وأنا أدرسها الآن.»

«أعلن متجر البقالة في حينا عن حاجته إلى أمين صندوق.» قطعت رادي أورمسباي، المصابة بمرض لوغاهريك. «أدرك أن هذا العمل بعيد جداً عن مستواك، ولكنه بداية. إذا كنت مهتماً، سوف أتكلم مع مالك المتجر وأوصي بك.» أثار اقتراحها نقاشاً بين الحاضرين، بمن فيهم نيد الذي اقترح مكاناً قد

يتوفر فيه العمل. ما لم يعرفه أحد، فكرت أندريا في سرها، إذا وجد عملاً أم لا، إن لوكاس هاستينغز عنده مصادر مالية تكفيه.

«أنا شاكر لكم هذه الاقتراحات.» قال متحبباً، ونظرته الحادة تحيط جميع الموجودين في الغرفة. «إذا لم أوفق في ما خططت له، فسوف آخذ هذه الاقتراحات بعين الاعتبار.»

«لقد ساعدت الأخت مايرز عدة أشخاص في أبرشيتنا في الحصول على عمل.» أضاف أرنولد. «هي من دبر لي العمل الذي أشغله الآن، وأوصت بي.»

رفع لوك رأسه ونظر إلى أندريا. لم تدهش من ردة فعلهم الدافئة نحوه بعد أن سحرهم بكلامه. «هي والأسقف ياتس عملا الخير بما فيه الكفاية. ربما بعضكم لا يعرف، أني قد عينت مدرباً لفريق الكرة الطائرة.»

حدقت مايبل فيه وكأنه عدو. «هل عندك المؤهلات الكافية لهذا العمل؟»

«بالإضافة لاشتراكي، يومياً، بالمباريات التي تجري في السجن، كنت عضواً في فريقي كرة الطائرة والبيسبول خلال سنوات دراستي في جامعة برينستون.»

انكمشت مايبل على نفسها من جراء اجابته المذهلة. قفزت أندريا من مكانها وأخذت تلملم الصحون والكؤوس الفارغة لتأخذها إلى المطبخ. كانت بحاجة كي تختلي بنفسها عدة دقائق كي تتمالك أفكارها الشاردة. أدركت، أنه حتى هذا المساء، لم تعرف إلا القليل عن شخصية لوكاس هاستينغز الحقيقية... ولكنها، استطاعت الآن أن تسبر قليلاً من عمقها، وما وجدته، كان ساحراً، برغم مكابرتها.

لحق نيد بها إلى المطبخ. «الآخرون يستعدون للذهاب

ولكني أرغب بالبقاء كي أساعدك في إعادة كل شيء إلى مكانه، هل تمانعين بذلك؟»

كانت تتوقع شيئاً من هذا القبيل. كانت على وشك أن تخبر نيد بأن إقامة علاقة شخصية معها، هو أمر بعيد الاحتمال، عندما شاهدت لوك، على بعد خطوتين، خلف نيد، يحمل الكؤوس والفوط.

«في الحقيقة، أنا على موعد مع الأسقف الآن.» قال لوك وهو يبتسم بلطف. «استطعت الحصول على المقابلة في الصباح... دوريس تدبرت الأمر.»

صدمت أندريا لوقاحته. بالتأكيد، لا يمكن لهذا الرجل أن يكون الشخص نفسه، الذي كاد، منذ دقائق، أن يقنعها برقته ودماثته! قطب نيد وجهه بحزم. «ربما، في وقت آخر.» تمتم وخرج من المطبخ. هرعت، متجاوزة لوك ومتجاهلة ابتسامته المشرقة، للحاق كي تعتذر لنيد. ما أن دخلت غرفة الجلوس، حتى تحلق حولها الجميع شاكرين لها استقبالهم، وفي الوقت الذي انتهت فيه من توديع الجميع، لم تر أثراً لنيد.

«وحدك، أخيراً.» تمتم من خلفها. «اعتقدت أنهم لن يذهبوا أبداً.»

استدارت أندريا على نفسها وقد اجتاحها الرعب. أخذت ترتب الأثاث بحركات متوترة. إنه قريب منها جداً، لا تستطيع التكهن بما يدور بخلده. بدا جذاباً يرتدي بدلة خفيفة لونها أزرق بترولي وربطة عنق خضراء داكنة. بدا أن السجن لم يؤثر البتة في قواه أو مستواه. أسوأ ما في الأمر، أن وجوده، الفعلي كان يؤثر في أحاسيسها إلى درجة مزعجة، وكادت أن تنسى من هو وماذا فعل.

«هذه العبارة غير لطيفة. إذا أخذت بعين الاعتبار كيف

استحوذت على عواطفهم منذ قليل ببضع كلمات مختارة بعناية.»

«الحقيقة لا تتطلب، عادةً، أكثر من ذلك.» تكلم بواقعية أصابتها بالحيرة، ثانيةً. «ولكن قبل أن تنطقي بأي كلمة، أريد أن أوضح أمراً لك. لقد وجدت أن أفراد هذه المجموعة أشخاص شرفاء، محترمون ومحبون، وأنا أتطلع إلى معرفة كل واحد منهم أكثر. ولكن ليس الليلة.»

التقطت أندريا بأصابع متشنجة أحد الكراسي، طوته ووضعته في حجرة الحاجيات. أسرع لوك، متوقعاً ما ستفعل، وفتح لها باب الحجرة. ولكنها حالما وضعت الكرسي داخلها أدركت خطأها. لأن لوك وقف أمام الباب ساداً عليها الطريق.

«هل عندك أي فكرة، كم انتظرت هذه اللحظة؟»

غاب الهزل عن صوته. تسارعت نبضات أندريا، لأنها كانت تدرك تماماً مغزى كلامه. لقد كانت تفكر، هي أيضاً بمعانقته ثانية... منذ اللحظة التي رأته فيها لأسبوع خلا.

«أنا... أشعر بالرضى لأنك أهديت للإيمان خلال فترة سجنك، يا سيد هاستينغز.»

أثارت ابتسامته الشيطانية أعصابها. لقد حوصرت في منزلها من قبل رجل ما كاد يخرج من السجن. رجل، استطاع أن يبتز منها تجاوباً، مما غير نظرتها إلى نفسها. جعلها تدرك أنوثتها واحتياجاتها كامرأة. جعلها ترغب بأمور غابت عن بالها زمناً، وأحاسيس، اعتقدت أنها غير ضرورية. وبطريقة ما بحاسته السادسة القوية، عرف أنها...

«في آخر مرة، كنا فيها معاً وحدنا، سمعتك تقولين لي بوضوح، لوك عزيزي.»

أحست بالاختناق. «أنت تعرف تماماً لماذا فعلت ذلك.»

«اعترفي بأن إنقاذي لم يكن السبب الوحيد، لما قمت به.»

«لن أعترف بأمر كهذا.»

«لماذا؟ هل تخشين أن تعترفي بأنك معجبة بي كما أنا معجب بك؟ هل هذا بسبب عملك في الكنيسة... أم بسبب ماضٍ؟ أو ربما للسببين معاً؟»

تراجعت إلى داخل الحجرة.

«لماذا لم تأتي لزيارة السجن ثانية؟ هل كنت تخشين أن يتكرر الوضع نفسه؟»

صرت على أسنانها وقالت: «إقامة الصلاة في السجن، من اختصاص بول.»

«هذا ما يجب أن يكون. سجن الرجال ليس بالمكان المناسب لامرأة مثلك. برغم رغبتي القوية برؤيتك ثانية، أملت بالقوة نفسها، في أنني أخفتك بما يكفي لتتخلي عن فكرة العودة إلى السجن.»

«إنك تحاول في هذه اللحظة أن تذرع الخوف في قلبي، من غير أن تلمسني.»

ضاقت عيناه وهو يحدق إليها. «ألمسك، كان ذلك غلطة كبيرة.»

وضعت يديها في جيبي سترتها بتوتر. «لا أرى أي جدوى من هذا الحديث.»

«لا أوافقك الرأي.» همس: «لقد راقبتك خلال المحاكمة وأنت راقبتني، برغم أنك تهزين رأسك بالنفي. ويوماً بعد يوم ازدادت معرفتنا ببعضنا بعضاً، قليلاً.»

«هذا غير منطقي!»

www.Rewity.com

لم يتوقف عن الكلام. «أدركت من البداية، أنهم قد أوقعوا بي واحتمال خسارتي للقضية كان وارداً، ولهذا وجدت نفسي أحلم بك، أن ألمسك، أن أعانقك. ولكن لا شيء حضرني لما حدث عندما ظهر ملاكي، ذو الشعر الأسود. بطريقة سحرية في السجن ورحب بي بعناق، قد يدفع أي رجل عمره في سبيله.»

حاولت أندريا العثور على الكلام المناسب. هل يستطيع قراءة أفكارها؟ لقد وصف لتوه مشاعرها بالذات، وردة فعلها ولكنها لم تجرؤ على الاقرار بذلك. «أعتقد أن السجن قد غير من نظرتك للأمور وراحت بك الأوهام.» قالت خلاف ما تفكر.

«بخلاف ذلك، فتصرفك أوضح لي أموراً عدة.»

«إذا كنت تصر على الحديث في هذا الموضوع، هل تمانع في متابعته في غرفة الجلوس بدلاً من هذه الحجرة؟ أنا أعاني من خوف الأماكن المغلقة.»

«لو كان ذلك صحيحاً لما دخلت السجن حيث الأبواب تقفل وراءك خلف كل منعطف.»

إن عقله يعمل بأسرع مما ظنّت. «ما الذي تريده، يا سير هاستينغز؟»

«لوك من فضلك، وأنت تعرفين تماماً ما أريد.»

«لا ريب، أن هناك امرأة في حياتك...»

التوى فمه. «كان هناك عدة نساء، ولكن لم تترك أي واحدة منهن أثراً في حياتي، ومن المؤكد، أن لا واحدة منهن فعلت ما فعلت.»

فكرت بأن تعليقه يمكن أن يأخذ على محمل عدة أمور ولكنها لم تبال بتفحص أي منها. «من هي المرأة التي أصابتك اللوعة خلال المحاكمة؟» سألت قبل أن تعي ما تقول.

تصلبت تعابير وجهه. «إنها زوجة صديق عزيز، قتل في حادثة طائرة منذ سنوات. مشاعري نحوها لا تتعدى مشاعر الصداقة البحتة. لا شيء شبيه بمشاعري نحوك.»

ابتلعت أندريا لعابها بصعوبة. «أخشى أن أكون أظهرت نفسي كالبلهاء وتدخلت في خصوصياتك.»

«أنت تعنين جحيمي الخاص، أنت تحيرينني يا أخت. لقد صوتِ إلى جانب ادانتي في المحكمة، ثم جئت لانقاذي في السجن.»

حدقت إلى أرض الغرفة كي تتجنب النظر إليه. «لو اساء إليك الحارس ذلك اليوم، لشعرت أنني تسببت بذلك بطريقة غير مباشرة، ولم أرغب بحدوث ذلك. أ... أنت عانيت بما يكفي.»

«أخبريني عن أمر.» قال برقة: «هل كنت المحلف الذي أخر المداولات؟ أخذتم طويلاً مما أنعش الأمل في قلبي.

«هذه المعلومات سرية.» قالت متهربة.

التمعت عيناه بالحنان. «إنه أنت، كنت أعرف ذلك.»

«أدركت أندريا عدم جدوى الانكار. «كنت أشعر بأن الاثباتات ضدك كانت أكثر من اللزوم، وتحمل وجهة نظر واحدة. لم أستطع تخيل رجل بذكائك ومعرفتك في سوق الأسهم، يترك سلسلة من الآثار، يمكن لطفل أن يتعقبها. ولكن في النهاية، قضى البرهان المفحم على اختياراتي ولم أجد مناصاً من ضم صوتي إلى أصواتهم في إدانتك.»

خيم الصمت للحظات. «اشكر لك هذه الصراحة.»

تورد وجهها وشعرت بالحرارة. «على أي شيء، أثار تصرفك في السجن ظنوني في ما يتعلق ببرائتك. وكلما ابقيتني في هذه الحجرة، كلما اقتنعت أكثر بصحة قرار المحلّفين.»

أثارتها ضحكته الخافتة وجعلتها تشعر بقوة جاذبيته.

«إذا كان ذلك ما تشعرين. هل تختلف الأمور، إذاً، عندما أحصل على ما أريد؟ لن يضيف ذلك أكثر من نقطة على سجلي الأسود.»

«ابتعد عني يا سيد هاستينغز.» كان مخيفاً أن تشعر بردة فعل كهذه مع رجل، وتشعر أنها تفقد السيطرة على نفسها عندما تكون بالقرب منه. لقد خشيت أن يجعلها تفعل ما يريد تلقائياً.

«اطلبي أي شيء مني، إلا هذا.»

«يا سيد هاستينغز، لا تنس أني كاهنة في أبرشية!»

«أنتِ امرأة أولاً، وتعملين كاهنة، وفي هذه اللحظة لا ترتدين ثياب الكهنوت. عدم ارتدائك هذه الملابس، برغم إنذاري لك بالمجيء، يجعلني أتساءل في ما إذا كنت متشوقة لرؤيتي بمقدار شوقي إليك.»

أيمكن أن يكون على حق؟ هل منعها عقلها الباطني من فعل ذلك؟ قطعت هذه الأفكار فجأة وقررت أن تغير اسلوبها معه.

«إذا أعطيتك ما تريد الآن، هل تذهب وتعد أنك ستبتعد عني من الآن وصاعداً؟»

«كيف يمكنني أن أعدك بذلك وفي الوقت نفسه أعرف أننا سنرى بعضنا البعض غداً، وبعد ظهر كل يوم للتدريب على مباريات دورة الكرة الطائرة؟»

«أستطيع أن أعفيك من مهامك كمدرب، بمخابرة هاتفية واحدة لبول.»

«تأكدت بأنك إذا فعلت ذلك، سيصاب الأولاد بخيبة أمل، كما يخسرون فرصتهم في ربح الدورة. برغم ذلك، لن تتخلصي مني، لأني قررت أن أصبح عضواً كاملاً في الأبرشية. سوف

نرى بعضنا بعضاً خلال بروفات الجوقة، والدراسات الروحية، وقداس يوم الأحد. التعداد لا ينتهي.»

اعترت أندريا الحيرة، تماماً. «لماذا؟ أنت لست مؤمناً؟»

«أنا مؤمن بك. وإن أحببت ذلك أم لا، بيدك خلاصي منذ لحظة لقائنا الأول.»

«خلاصك؟»

«أوضحت لك سابقاً، أن زيارتك لسجن رد بلوف جاءت في أحلك ساعة في حياتي. وهذا أمر، من المستبعد، أن أنساه.» كان صوته هادئاً، وتضاعف خوف أندريا... ليس منه بل من ردة فعلها المتجاوبة.

«إذا لمستني، سوف أزعق، وسوف تسمعني مايبل التي تقيم بالأسفل وهي بدورها ستتصل بالشرطة.» قالت مهددة:

«س... سوف تعود إلى السجن قبل أن تمضي هذه الليلة.»

«سأجازف بذلك.»

عندما بدأ بالاقتراب منها، تراجعت أندريا إلى مؤخرة الحجرة، بين الثياب المعلقة هناك. «أوقف ذلك في الحال، يا لوك.» تقطع تنفسها وأصبح صوتها أجش ومخنوقاً. «لسنا صغاراً، بحق السماء.»

«هم.» تمتم وهو يقترب أكثر حتى أحاطها بذراعيه. «أجل، لسنا صغاراً، وهذا ما يجعل الأمر مريحاً، سوف أعانقك يا أندريا مايرز وأنت ستعانقينني لأنك ترغبين بذلك.»

«سوف تندم على...» لم تستطع أن تنهي جملتها. لأنه عانقها، وهذه المرة من دون رقيب يطلب من لوكاس العودة إلى زنزانته. ولا يوجد أي عائق يمنعه من الاطاحة بصوابها. وجدت نفسها تتجاوب معه.

«لقد بدأت أؤمن بأن صلواتي استجيبت.» همس في أذنها. حاولت التملص منه قبل أن تفرقها عواطفها المنغلقة.

«أنا غير مستعد لتركك بعد.» أطلق تنهيدة، ولكنها استطاعت تخليص نفسها وهربت إلى غرفة الجلوس.

قالت، وظهرها له، بصوت ثابت وحازم: «بما أنك رويت نزوتك، أرجوك أن تذهب وتتركني وحدي.»

«إذا ظننت أن ذلك يرضيني، فأنت لا تعرفين الكثير عن الرجال.»

«وأنت لا تعرف الكثير عن النساء.» استدارت لمواجهته وقبضت يداها بشدة. «محاولتك التقرب من أول امرأة تقابلها بعد سجن ستة شهور من الحرمان، ليس...» انخرطت بالبكاء من جراء ابتسامته الوقحة.

«أوافقك على أن الأمر خرج قليلاً عن المألوف في الحجرة، ولكن لنكن صريحين يا أندريا، ما حدث لم يتجاوز عناقنا لبعضنا البعض. ولم أكن، في الحقيقة، أجبرك على هذا... أليس كذلك؟ لقد تجاوبت معي.»

اقترب منها وعانقها ثانية وكأن من حقه أن يلمسها عندما يريد وأينما يريد. «عندما أقرر التقرب من امرأة، سأخبرك كل التفاصيل. لأنك ستكونين أنت هذه المرأة.»

«ستجلب لك هذه الأوهام متاعب جدية.» هددته ببرود جليدي.

«أنا الآن في المتاعب. وأنت السبب.» خفت صوته بشكل خطير. «تذكري فقط، أنت التي تجرأت على دخول معقل الشيطان. هذا ذنبك، أيتها الأخت. أنت محروسة مثلي تماماً، ولهذا لن أقول لك ليلة سعيدة، لأنك لن تنامي هنيئاً... ولا أنا أيضاً.»

الفصل الخامس

غادرت أندريا مكتبها، بعد ظهر يوم الجمعة التالي، وهي تتأبط بسرور رزمة.

لحقتها دوريس، بعد أن انتهى دوامها أيضاً. «هل أنت ذاهبة إلى المستشفى ثانية؟ هذا يرفع عدد زياراتك الليلية إلى خمس هذا الأسبوع!»

«أنجبت ماري دريسكولي طفلة هذا الصباح. إذا لم أذهب الآن، فلن يكون عندي متسع من الوقت غداً بسبب اجتماع لجنة الشبيبة.»

«دعي بول يتولى أمر الشبيبة، أنت بحاجة إلى يوم راحة!» ألحت دوريس عليها.

«لا أستطيع أن أفعل ذلك في الوقت الحاضر.» في الحقيقة، أندريا لا تريد أن تخلو بنفسها في حال قرر لوكاس أن يأتي ثانية إلى منزلها في الوقت الذي يظن أنها موجودة. أقسمت، بعد حادثة ليلة الأحد، أن لا تتواجد معه على انفراد. ونتيجة لذلك ضاعفت جدول عملها كي تعطي نفسها التبرير الذي تحتاجه.

لم تستطع تفاديه تماماً، لأنها كانت ضمن فريق كرة الطائرة الذي يدربه. ولكنها كانت تتوقف عن التمرين عشر دقائق، قبل الآخرين وتغادر كي لا يستطيع لوك احتجازها، وتفادت أيضاً أي حديث شخصي معه... أو الأسوأ.

على أي حال ومع مرور الوقت زالت مخاوفها من قيامه

بعمل يحرجها أمام شبيبة الأبرشية. برغم ما قال وما فعل عندما كانا على انفراد، كان تصرفه في الملعب مثالياً. خبرته الرياضية كانت واضحة. الشبان أعجبوا به. وكذلك أندريا. وفعلت ما بوسعها كي لا تظهر إعجابها، كان أمراً صعباً، ولكنه ليس مستحيلاً، أن تبدو غير مكترثة.

أظهر لوك أنه رجل ذو مواهب متعددة، يحب التنافس بشدة، صفة انعكست على جميع من حوله. أقنعهم بأنهم إذا تدربوا باخلاص، واتبعوا توجيهاته وخطة اللعب، وحافظوا على لياقتهم البدنية، فإن فوزهم ببطولة الدورة يصبح احتمالاً وارداً.

أخذت أندريا، بحلول يوم السبت، تعتقد أنه لا داعي للخوف من لوك أكثر، لم يخرج عن الحدود قط، أو يعلق على ما جرى بينهما. لم يحاول أن يقابلها أو يترك لها خبراً مع دوريس... تصرف توقعت حدوثه. لم تكن عندها فكرة كيف يقضي وقته وماذا يفعل عندما ينتهي من تدريب الفريق، وقالت في سرها، إنها لا تريد أن تعرف.

كان ذلك كذباً على نفسها. كاد الفضول أن يقتلها لتعرف كل شيء عن حياته بالتفصيل. خاصة في ما يتعلق بالنساء... لا رجل بمثل جاذبيته وحيويته، عانى من عزوف النساء الجميلات عنه. ذهبت بها الظنون، إلى أنه يقضي كل ليلة مع امرأة مختلفة.

لم تشك أندريا، ولو للحظة، في مغزى ما قال عن نيته بالانضمام إلى الأبرشية كعضو نشيط. بعد الطريقة التي ألقت بها بنفسها عليه في السجن، فعل ما يفعله أي رجل... يستغل الظرف. وهذا ما اقترحه بول.

بدا أن حماسه هدأ قليلاً، برغم ارتيابها بدوافعه عندما تطوع للعمل، لاحظت أن عمله كمدرب جلب له السعادة وساعد في ملء أوقات فراغه وهو ما يزال يحاول ربط خيوط حياته من جديد، وهكذا تستقر حياتها على ما كانت عليه في السابق.

المشكلة، أنه لم يعد باستطاعتها تخيل عالمها من دون لوكاس هاستينغز. بطريقة ما، استطاع التسلل إلى أعماقها خلال المحاكمة وما زال قابعاً هناك يحضر المزيد في كل يوم، ويستولي على أفكارها وعواطفها. إذا لم تنتبه لنفسها أو تحصن عواطفها بفعالية، فمن المحتمل أن يشق طريقه إلى قلبها أيضاً.

عندما ولجت موقف السيارات التابع للكنيسة في الصباح التالي... يوم سبت قارس البرودة... افترق ريتشي، دوين، كاسي ومات عن بقية الرفاق، تسلقوا الدرج وهرعوا نحو سيارة أندريا، كي يركبوا معها.

كانت تحبهم جميعاً ما عدا مات الذي كانت تشعر نحوه بعاطفة خاصة، لأنه كان يعاني من العيش مع والدته المدمنة على الكحول منذ طفولته الأولى. كانت أندريا توفر له الوقت عندما يحتاج لبث همومه. أحياناً، عندما تسوء الأمور في بيته إلى درجة لا تطاق، كانت تدعه ينام على الأريكة في منزلها. أصبحا صديقين حميمين.

فتح مات باب السيارة الأمامي وتسلقها. أخذ الآخرون أماكنهم على المقعد الخلفي.

«لقد اعتقدنا، بأنك غير قادمة.»

تظاهرت بالعبوس في وجه مات. «هل خيبت أملكم من قبل؟»

«لا أعرف، يجب أن أفكر بذلك.»

دفعته أندريا بيدها. «من الذي يقل بقية الشبان؟»

«على ما أعتقد، عائلة ميللرز. أقلت مجموعة والأب ياتس سيقل الباقين. إنه يقفل أبواب الكنيسة الآن، دعينا ننطلق وإلا تأخرنا.»

غمزت بعينيها. «يا شبان، لم أعتقد أنكم متحمسون للذهاب للعبة البولينغ، وأتذكر أن عدداً منكم استاء خلال التدريب، البارحة.»

«أوه، أجل.» قال كاسي: «عندما عرف لوك بالأمر، أقنع الأب ياتس بالسماح لنا بنزهة في الطائرة بدلاً من البولينغ.»

«نزهة طيران؟»

نظر مات إليها بارتياب: «ألا تعرفين أنه طيار؟»

«لوكاس هاستينغز، طيار؟»

«أجل.» هتف الجميع معاً. أوضح ريتشي: «عنده طائرة خاصة وسيأخذ كل منا في نزهة فوق المدينة.»

«على هذا المعدل، سيسبقنا الجميع إلى المطار.» تمتم مات.

رفّت عينا أندريا من الدهشة قبل أن تقول: «سأعود بعد دقيقة.»

ترجلت من السيارة، وسط تذمر الشبان، وأسرعت نحو بول الذي كان يدفع الباقين من الفريق إلى داخل سيارته. ابتسم عندما رآها. «لا نستطيع الصلاة ليوم أفضل من هذا اليوم، يناسب الطيران، أليس كذلك؟»

اعترفت لنفسها أنه برغم الحرارة المنخفضة، فهم لا يستطيعون أن يأملوا بأفضل من هذه السماء الزرقاء الصافية، الخالية من الغيوم. «كلا.» تمتمت. ولكن أفكارها

ذهبت بعيداً. «بول، لم أكن على علم، أن الترتيبات قد تغيرت.»

«حاولت الاتصال بك، عدة مرات، الليلة الفائتة وأيضاً هذا الصباح، ولم أعثر عليك. وكما تعلمين، لم يتحمس الأولاد، أصلاً، للذهاب إلى لعبة البولينغ، عندما اقترح لوك النزهة على متن الطائرة، سارع الأولاد إلى الاتصال بأهلهم كي يأخذوا موافقتهم، وهكذا تم وضع الترتيبات اللازمة.»

«أندي.» تمتم عندما توقف عن الكلام ثم استطرد: «هذا الرجل يقود الطائرات منذ أن كان في السادسة عشرة من عمره. لا تدعي صحيفة سوابقه تعميك عن الوقائع. هل، فعلاً، تظنين أنه سيعرض حياة هؤلاء الأولاد للخطر؟»

«كلا، بالطبع لا.» هزت برأسها. «الموضوع ليس هذا، إنما ما يدهشني هو تطور علاقته مع شبيبتنا.» لقد نفّذ تهديده. لولا مهمة نقل الأولاد، لتراجعت فوراً، لأنها كانت خائفة... خائفة من أن يصبح لوك ضرورة لحياتها، مع مرور الوقت عليهما، معاً.

«أعتقد أن تصرفه رائع. عنده حنكة طبيعية للتعامل مع الأولاد. أستطيع أن ألاحظ مدى تعلقهم به. كنا نحتاج إلى رجل مثله منذ وقت طويل. إذا استمرت الأمور على هذا المنوال، فلن يدهشني أن يعينه المجلس قائداً للشبيبة.»

ولكنه ليس عضواً في الأبرشية، ولم تستطع أندريا أن تتخيله قادراً على تحمل أسلوب حياة الأبرشية لوقت طويل. انتابها شعور غريب لهذه الأفكار.

لاحقتها كلمات بول طوال الطريق إلى المطار الصغير الواقع بالقرب من البوكركي. للمرة الأولى، لم تعر انتباهاً للأولاد.

كان لوك قد أعطى ريتشي إرشادات عن كيفية الوصول إلى المطار، ولم تجد أندريا صعوبة في العثور عليه.

سرعان ما عرفوا، عندما انضموا إلى الآخرين، أن لوك أخذ ليزا على الطائرة. أحدهم كان قد أنهى طيرانه في ذلك الوقت، ولم يستطع التوقف عن التبجح بأن لوك سمح له بالامساك بعجلة القيادة لبعض الوقت.

أخذت أندريا بتعداد الأولاد، فيما كانوا ينتظرون أدوارهم على أحر من جمر. واستاءت عندما اكتشفت عدم حضور تيسي سلون. هل منعتها مارغو من الحضور؟ ولم يكن لديها الوقت لتستكشف الأمر، لأن طائرة بيتشكرافت ذات المحركين واللونين الأبيض والأزرق كانت تستعد للهبوط. عندما توقفت الطائرة أمام المبنى، تسمرت عينا أندريا على لوك الجالس في القمرة. لولا شعره، لما استطاعت التعرف عليه وهو يضع نظارة الشمس وغطاء الأذنين. لم يبدِ أي إشارة إلى أنه رآها أم لا بين الآخرين.

قام الأولاد واحداً بعد الآخر، بنزهتهم على الطائرة. وحين جاء دور بول، كان معظمهم قد قرر أن يأخذ دروساً في الطيران. لو أراد بول الاستحواذ على قلبها، فقد اختار الوسيلة المثالية. الأبرشية لن تكون أبداً ما كانت عليه. وهي أيضاً!

كان بول يضحك ملء فمه عندما ترجل من الطائرة ونادى أندريا: «لقد جاء دورك!»

أخذت نبضات قلبها بالتسارع وأحست بالمغص بفعل الإثارة والخوف. «لا أعتقد أني سأفعل. لم أركب من قبل إلا طائرة الركاب الكبيرة، ٧٢٧.»

«جبانة مثل الدجاجة!» هتف الأولاد.

غمزها بول. «إذا رجل مسن مثلي، تمتع بهذه النزهة، أؤكد لك بأنها تجربة لا تعوض.»

كلما أطالت البحث في هذا الموضوع، كلما زادت من قدرة لوك لمحاربتها، وهو الذي يعرف بالتحديد سبب ترددها. وآخر شيء تريده، هو أن تدعه يعرف مدى سطوته عليها، ومدى انجذابها نحوه، بقلبها وبروحها. وبدا أنهما، في كل مرة تواجدا معاً، تكتشف وجهاً آخر لشخصيته الساحرة، ويزداد افتتانها به. وازدادت قناعتها، على ضوء ما عرفته عنه حتى الآن، بأنه لا يمكن أن يكون قد احتال على زبائنه.

«هيا، اذهبي.» حثها مات. «إنها نزهة مذهلة.»

«صلوا من أجلي.» هتفت وهي تدير ظهرها لهم. سارت نحو الطائرة وهي تشعر بانعدام الوزن والقلق.

أحست بالراحة عندما غمرها دفء الطائرة، بعد ساعات من الوقوف خارجاً في الطقس البارد. ألقى لوك عليها ابتسامة مشرقة وهي تأخذ مقعدها إلى جانبه وربطت الحزام حول وسطها. «أهلاً بك على متن الطائرة.»

أدركت من نبرة صوته أنه كان ينتظرها ويعرف أنها، في نهاية الأمر، ستأتي إليه بإرادتها.

«من الأفضل أن أخبرك، أنه لم يسبق لي ركوب طائرة خفيفة.» تمتمت وحاولت اخفاء شعورها بالإثارة.

«قد تدمنين على هذه المتعة... ولا تختلف عما نحسه عندما نعانق بعضنا البعض.»

شعرت بالحرارة تعتلي وجهها وتمعنت من النظر إليه. «أنت لا تفكر إلا بشيء واحد.»

«وهذا حالك أيضاً.» سرت ضحكته المغرية في جسمها مثل

التيار الكهربائي. في محاولة يائسة لتغيير الموضوع، بدأت تتكلم، ولكن حينها، كان يتكلم مع برج المراقبة، مما جعل متابعة الحديث، مستحيلة.

انطلقت بهما الطائرة على المدرج، وبسبب ازدحام المرور على المطار، كان عليهما انتظار اقلاع عدة طائرات قبل أن يحين دورهما. شعرت وكأن معدتها قد هبطت على الأرض، عندما أقلعت الطائرة بهما، ولكن عندما بلغت الطائرة الارتفاع المناسب، عادت إلى طبيعتها وأخذت تنظر من النافذة إلى المناظر البديعة. كل هذا، وأفكارها منشغلة بالرجل الجالس إلى جانبها.

كيف استطاع أن يتحمل بقاءه وراء القضبان ستة أشهر، وهو الذي خبر هذا النوع من الحرية؟

«التفكير في هذه الأوقات الممتعة ساعدني على الاحتفاظ بتوازني النفسي عندما كنت في السجن.»

«لا ريب أنها كانت تجربة مريعة بالنسبة لك.» قالت وقد هالها تقارب أفكارهما وارتباطهما الغامض. تابعت النظر إلى المدينة، تحتهما.

«أخبريني.» قال بهدوء. أدارت عينيها الرصينتين نحوه. «كيف استطعت من خلال الأقنعة التي غلفت المحاكمة استشفاف الحقيقة؟»

بدا أن سؤاله أتى عفوياً، ولكنها تعرف أنه لا يقول ولا يفعل أي شيء من دون سبب. تمنت لو استطاعت أن تزيح عن وجهه النظارة الشمسية السوداء وتحدق إلى عينيه، لأنهما في لحظات الغفلة كانتا تفضحان ما يدور في خلده من أسرار.

«أنا متأكدة من وجود أشخاص بين الحضور، شعروا بأن الادعاء كان محكماً أكثر مما يجب.»

«هل تقصدين المحامي الذي كان يدافع عني.» قال بنبرة قلقة: «لقد كنت أتكلم عن المحلفين.»

أخذت نفساً عميقاً. «لقد طُلب منا أن لا ندينك إلا في حال عدم وجود أدنى شك في ما ارتكبته، ويجب أن تعترف بأن الاثبات المادي ضدك كان قاطعاً.»

«ولأن قلب الأخت أندي رقيق، فقد آمنت ببراءتي برغم كل شيء، أهذه هي القصة؟» سألها بصوت هادئ.

«كان من الطبيعي أن آمل بأن يقدم محامي الدفاع ما من شأنه احباط مرافعة المدعي العام. كل المحلَّفين، تمنوا ذلك. ولكن الدفاع عنك لم يثمر. وقد ذكرتني محاكمتك بتجربة أليمة، مررت بها في الماضي. وهذا ما جعلني أرتاب بجريمتك.»

«أي تجربة أليمة؟ أنت تعرفين كل أسراري فيما أنا لا أعرف، تقريباً، أي شيء عن أندريا مايرز، المرأة.»

«حدث ذلك منذ وقت طويل، ولم يعد أمراً مهماً الآن.»

«بكلام آخر، أنت لم تصبحي على استعداد للتكلم في هذا الشأن. أخبريني إذاً، هل أقمت دائماً في البوكركي؟»

«كلا.»

الصمت الذي اعقب ذلك، جعل صوت محرك الطائرة وكأنه أصبح أكثر ضجيجاً. حدقت أندريا إلى خارج النافذة وقد شعرت بعدم الراحة. تكلم لوك أخيراً: «هل تشعرين، أنه لا يمكنك الوثوق بي، لأني مجرم سابق؟»

«بالطبع لا!»

«أنا أعرف أنك تهتمين لأمري، بشكل ما. وعلى هذا، إذا كان هذا الجواب صادقاً، سأفترض وقوع حادث مؤلم لك في

الماضي، لم تتخلصي من نتائجه إلى اليوم. أنا أعرف الكثير عن حالات كهذه.» تمتم.

لم يكن لدى أندريا أي مبرر للتصدي لهذه الصراحة المجردة. ولم يعد هناك من شك في أن هذا الرجل، عانى بصورة، لم ترد حتى أن تتخيلها. وجدت نفسها لا إرادياً تفتح له قلبها. «في ما عدا السنتين الأخيرتين، لقد عشت في كاليفورنيا كل حياتي.»

«هل ما يزال أهلك يعيشون هناك؟» سألها برقة.

«ليس عندي أدنى فكرة.» أجبرتها نظرات لوك الحائرة، على الاستطراد والتوضيح: «أعرف القليل عن والديّ، غير أنهما كانا يعيشان في أوكلاند، كاليفورنيا، عندما ولدت. وحسب ما قال مرشد اجتماعي، كان على علم بقضيتي، إن أمي حملت بي وهي في سن المراهقة، وعندما انتشر الخبر، طردها والداها من المنزل وهرب الجاني. ولذا اضطرت للاعتماد على وكالة حكومية ريثما تلد. هجرتني بعد الولادة، لأنها لم تستطع تحمل المسؤولية ولم يكن عندها مورد مالي.»

استدار نحوها. «ماذا عن اللذين تبنياك؟»

«لم يتبناني أحد.. أمضيت حياتي متنقلة في عدة بيوت للرعاية البديلة.»

«لا يمكن أن تكون هذه الحياة سهلة.»

«في الحقيقة، معظم القيمين على هذه البيوت، أحسنوا معاملتي. ولكن عندما بلغت السادسة عشرة من عمري، خسر المشرف على أمري، عمله وبسبب صعوبات مالية مختلفة، أرسلت للإقامة عند عائلة أخرى.»

«تابعي.» حثها عندما شعر أنها تلكأت بالاستمرار.

«لقد أحببتهما كفاية، ولكن ابنهما المُطلق أخذ يتردد على المنزل بغيابهما.» تمتم لوك بقسم لم تستطع فهمه. «حاول في المرة الأولى لمسي مما أخافني، وفعلت ما بوسعي لأبقى بعيدة عنه. ولكنه استمر بالقدوم والتحايل كي يراني عندما أكون وحدي، وهكذا هربت من هذا المنزل.»

«ماذا حدث بعد ذلك؟» لاحظت أن الغضب بدأ يغلّف نبرة صوته.

«التقطتني الشرطة، وفتح المرشد الاجتماعي تحقيقاً بالأمر. وتحول ذلك إلى كابوس، لا أحد صدق روايتي، لأن ابنهما كذب ووالداه ساندا قصته. لقد كانت سمعتهما ممتازة كمشرفين على الأيتام.»

«أستطيع التكهن بباقي قصتك.» قال لوك مشمئزاً.

«لقد اتهمت بمحاولة اغواء ابنهما، لقد كذبا ببجاحة. منذ الصفوف المتوسطة، حافظت على معدل دراسي ممتاز، وكنت على لائحة الشرف. في كل فصل كنت أصرف معظم أوقات الفراغ في عمل الفروض المدرسية أو مساعدة أحدٍ ما فيها. ولم يكن من الممكن أن أرتكب كل هذه الأمور، التي اتهمت بها. من جانب آخر، استطعت أن أتفهم محاولتهما حماية ابنهما. من المحتمل أنه تصرف مراراً على هذا النحو. ولكني كنت في السادسة عشرة ولم أكن لأفهم حينذاك. لقد كان كابوساً. قالوا إني كاذبة. على الرغم من أن المسؤولة الاجتماعية عني، أخرجتني من هذا البيت، شعرت أنها في قرارة نفسها، لم تصدقني.»

«اشكري الله، لأنه كان لديها من الحكمة ما يكفي لتبعدك عن هذه العائلة.»

«ومن الطبيعي أن أُسر لتخلصي من هذا الوضع، ولكن عند ذلك شعرت بأني وحيدة في هذا العالم. لم يصدقني أحد أو يساندني. ولا حتى انسان واحد.» توقفت لأخذ نفس عميق واستدارت لتنظر إلى لوك.

«خلال محاكمتك، وفيما ممثل الادعاء يقدم البراهين ضدك واحداً تلو الآخر، ويكبلك بالتهمة، أخذت بتذكر تجربتي هذه. كل نقطة أثرتها، استطاعوا تحويلها ضدي، مثلما فعلوا معك. راقبت شركاءك وبدأت أتساءل في ما إذا هم من أوقع بك. أعتقد أن ذلك ما أثار شكوكي بالنسبة لبراءتك. المشكلة كانت، في عدم وجود دليل مادي في مصلحتك، لا شيء يمكن للمحلّفين...»

«أندريا.» قاطعها بصوت خافت.

ولم يعد باستطاعتها التوقف عن الكلام. «لقد فكرت مراراً بك، في الأسابيع الماضية.» استطردت: «وذكرتك في صلواتي. عندما رأيتك في السجن، فهمت لماذا رؤيتك لي هناك، أثارت غضبك الشديد. لقد ظننت بأنني مرائية، أدينك من جهة، ثم من جهة أخرى، ألقي عليك بالمواعظ. ولكن أحبك أن تعرف، مذنباً أم بريئاً، لم أرغب برؤيتك تعاني أكثر من ذلك. لم أردك أن تشعر بالوحدة القاتلة والعزلة كما شعرت أنا، مرة، في السابق.»

فيما الصمت خيم بينهما، شعرت بيده تمتد وتلمس يدها. راقبته، يأخذ بيدها، يضعها على فمه، ويلثم راحتها. شعرت بالحرارة تنتشر في كل يدها، ومن ثم تسري إلى كل خلية في جسمها. تنهدت بصوت عالٍ، مما جعل لوك يدير رأسه. وسحبت يدها منه.

«أخيراً، عرفت الحقيقة.» قال بصوت أبح: «هل تستطيعين الإجابة على سؤال واحد فقط؟ ما هي فكرتك عني، الآن؟ هل قررت في ما إذا كنت مذنباً أو بريئاً؟»

لعقت شفتيها كي ترطبهما وتململت على مقعدها. «الله وأنت فقط، من يعرف الحقيقة.»

تردد لحظة، قبل أن يجيب: «لو أخبرتك بأني كنت مذنباً، هل يتغير رأيك الشخصي بي؟»

أصابها هذا السؤال بطعنة ألم وكادت أن تشلها احتمالاته. هل هو يحاول أن يخبرها بأنها كانت مخطئة؟ وأشاحت بوجهها عنه.

«لقد ألقيت عليك سؤالاً.» ألح عليها بانفعال شديد، لم تعهده فيه، من قبل.

«نحن خارج قاعة المحكمة الآن، يا لوك، ودفعت دينك للمجتمع. أنا لست قاضيك، ولا أريد أبداً أن أكون. هذه القضية انتهت فصولاً.»

هز رأسه. «أنت تعرفين جيداً أنني أتكلم في موضوع مختلف كلياً، موضوع شخصي... بيننا. بينك وبيني ولا أحد غيرنا.»

«أنا... أنا لا أعرف ما الذي تعنيه.» ناورت في محاولة لكسب الوقت. فيما تجهد كي تفهمه. هل هو يلمح إلى أنه يريد إقامة علاقة معها بمقدار ما تريد هي إقامة علاقة معه؟ وإذا كان ذلك صحيحاً، أي نوع من العلاقة يريد وإلى أي مدى. عرفت أندريا أنه إذا ارتبطت به جدياً، فهذا يعني ارتباطاً أبدياً.

زفر لوك بحدة. «سأعطيك وقتاً حتى المساء، وفي خلال ذلك تكونين قد تفهمت وتوصلت إلى جواب.»

أخذت نبضات قلبها بالتسارع. «أخشى أن لا أستطيع الليلة، فعندي ارتباطات على العشاء.» نظرت إلى ساعتها تتفحص الوقت.

«ألا يجدر بنا العودة؟ سوف يستاء الجميع منا لأننا بقينا طويلاً في الجو.»

«كنت لأرجعك حالما تطلبين.» قال لها ببرود. أدركت من مغزى كلامه، أنه يحملها مسؤولية البقاء طويلاً في الجو. أوشكت على الاعتراض، ولكنها بقيت صامتة لأنه بدأ يتكلم مع برج المراقبة. «تمسكي.» حذرها عندما أخذ بالهبوط.

قبضت على المقعد ولم تستطع أن تمنع عنها القلق الذي اعتراها، عندما شاهدت الأرض تقترب منهما بسرعة. لم تلاحظ حتى هبطت الطائرة على المدرج، بأن ما يحيط بهما، غيره عن ذي قبل. انعطف رأسها نحو لوك وقد أحست بانذار الخطر. «هذا ليس المطار!»

«ماذا أقول، إذا لم يكن هذا، هو المطار، فنحن في ورطة كبيرة.»

«لوك! أنت تعرف ما أعني. أين هبطنا؟»

لم يقل شيئاً حتى توقفت الطائرة نهائياً قرب مجمع من حظائر الطائرات الخفيفة غير المألوفة لديها. برغم أنه كان مواجهاً لها، إلا أنها لم تستطع أن ترى عينيه المغطيتين بالنظارة السوداء. «هذه سانتافي.»

«ماذا؟»

فك حزام الأمان ونزع السماعات عن أذنيه. انقبضت معدتها عندما مد يديه ليفك حزامها. قربت حركته هذه من وجهيهما، واستطاعت أن تستنشق رائحة معجون الحلاقة الذي يستعمله.

«متى كنت هنا لآخر مرة؟»

شعرت باستيحاء لم تحسب حساباً له ولم تتجرأ على النظر إليه. «ولا مرة. لقد نويت مراراً أن أزور هذا المكان في السابق، ولكن كان دائماً يطرأ أمر يمنعني من ذلك.»

«إذاً، أنت بضيافتي، ولو كان الوقت شتاءً.» عانقها فجأة وتركها.

«لوك!» صرخت، وقد أصابتها حركته الأخيرة بالدوار. «لا نستطيع البقاء هنا. ماذا عن بول والأولاد؟ إنهم ينتظروننا.»

هز رأسه نافياً. «لقد اتفق بول مع بعض الأهالي كي يأتوا ويأخذوا أولادهم من المطار.»

اتسعت حدقتا عينيها من الدهشة. «ولكني مدعوة للعشاء لاحقاً، ويجب أن أستعد لذلك.»

«لا تقلقي.» لفها سحر ابتسامته كالضباب. «لن تبقي من دون عشاء. أعرف مطعماً صغيراً ورائعاً.»

انحرفت مبتعدة عنه وقد أحست بأنفاسها تتقطع. ما يحدث لها الآن هو على الأرجح من أكثر الأمور التي وقعت لها إثارة، فيما هي تقف في هذا المكان مرتدية سترة الباركا وسروال الجينز وقميصاً قديماً، وشعرها مشدود إلى الوراء ومجدول على الطريقة الفرنسية. وما يكاد أن يكون الزي المناسب للمكان الذي يتردد إليه رجل بمثل ثروته وذوقه. لم يكن بأفضل منها تأنقاً، وقد ارتدى سترةً جلدية من اللون البني الداكن وسروال جينز وكنزة قطنية باللون الأحمر. ولكن ملابسه أبرزت ملامح الرجولة فيه. وفي الحقيقة بدا وكأنه فارس أحلام كل النساء... وذلك يشملها بالطبع!

أخذت أندريا نفساً عميقاً. «أنا أتكلم بجدية يا لوك. يقيم

مجلس كنائس نيومكسيكو عشاءه نصف السنوي الليلة. ومن المفترض أن نحضره، أنا وبول.»

«سيعتذر بول عنك. عندما أخبرته بما أنوي القيام به، وافق معي على أنه يجب أن تأخذي يوماً للراحة. قال لي إنك تعملين فوق طاقتك، ولا تعرفين متى يجب أن تتوقفي.»

«لقد خطفتني!»

«هل كنت ستأتين لولا ذلك؟»

«أنت تعرف أنني كنت سأرفض.» زعقت به. «يوم السبت هو الأكثر ازدحاماً بالعمل.» كان من الأفضل لها لو وفرت هذا الكلام. فقد أدار ظهره لها وترجل من الطائرة.

عندما حضرت نفسها أمام باب الطائرة للنزول منها، ناداها: «إن مبدئي بالعمل هو تمسك أولاً ثم فاوض لاحقاً. وهذا ينطبق على التعامل مع امرأة صعبة.» فتح ذراعيه لها وقال: «هيا اقفزي واستندي عليّ يا أندريا.»

أرادت أن تفعل ذلك، أرادته كثيراً، ولهذا شعرت بالخوف. قالت، عوضاً عن ذلك: «رأيي، أنه من الأفضل أن أنزل عن الطائرة بالطريقة العادية.» لم تعد تثق بنفسها، منذ العناق الأخير، إلا إذا كانت على مسافة تتطلب التكلم عبر الهاتف، من دون أن تأخذ بالاعتبار أي شيء يجعلها تلامس جسمه.

«لا بد أنك جائعة وعطشى مثلي تماماً.» قال: «يوجد محل بيع شطائر، قريباً من هنا، ونستطيع تناول شيء خفيف. ثم نستقل سيارة أجرة إلى المدينة.» أحاطها بذراعه حالما لمست قدماها أرض المطار، وأبقاها هكذا طوال بعد الظهر والمساء.

أصبحت الساعات التي تمضيها مع لوك وقتاً للمتعة وهما يتجولان بين الحوانيت والمعارض الفنية بهذه المدينة

الساحرة، التي ما تزال تحتفظ بتراث هنود البيبلو الممزوج بالتراث الاسباني. استطاع لوك أن يخبرها، لاهتمامه بعلم الآثار الذي ورثه عن جده، أشياء مذهلة عن هنود، ما قبل التاريخ، تيوا، والذين أحفادهم البيبلو أنشأوا مدينة سانتافي.

أسر، متحف الفن الشعبي، الذي أخذها إليه لوك، البابها، ولكنه أصر أخيراً على توفير وقت كافٍ للعشاء قبل العودة إلى البوكركي.

الطعام المكسيكي الذي تناولته أعطى معنى جديداً للطعام، كان لذيذاً وشهياً ولا علاقة له من قريب أو بعيد بالطعام الذي تناولته سابقاً في مطاعم الوجبات السريعة المكسيكية، أما الحقيقة، فان شريكها على الطعام أضفى سحراً جعل من الممكن عليها أن تتناول نشارة خشب وتتمتع بها.

وجدت أندريا نفسها مأسورة فيما هو يداعب، يجادل، يضحك ويرسل رسائل بعينه تفيد أنه يعد الثواني حتى يصبحا بمفردهما تماماً. منعزلين في زاوية مضاءة بالشموع فيما عزفت فرقة مارياشي ألحاناً ناعمة، شعرت أن الحياة ردت إليها، ألحت عليه أن يتحدث عن عائلته لأنها كانت متشوقة لتعرف كل شيء عنه.

«لا يوجد الكثير لإخبارك به.» قال برصانة: «ليس هناك من شيء يثير الاهتمام. قتل والديّ وشقيقي الكبير في حادثة سيارة، عندما كنت فتياً. قرر جدي الأرمل، أن يعيش بقية عمره لأجلي. كان طياراً مجازاً، وشجعني على تعلم الطيران... وبالفعل، اشترى لي طائرة قبل أن أبلغ العشرين من عمري. يمكنك أن تدركي، أني كنت مدللاً لدرجة الافساد. وفي النتيجة أرسلني إلى معهد يقع على الساحل الشرقي كي أتعلم كل ما

يجب أن أتعلمه عن كيفية الحصول على المال. كان يملك عند وفاته، أملاكاً واسعة في مدينتنا الصغيرة، الأمر الذي ساعدني في تأسيس، مكتب سمسرة للأسهم والسندات عندما كنت في عمر يكون معظم أقراني فيه، في بداية صعودهم الوظيفي.»

لا شيء يثير الاهتمام؟ أرادت أن تلقي عليه بألف سؤال عن الأشياء الكثيرة التي لم يقلها، وتتعلق هذه الأشياء بالعواطف وليس بالوقائع، ولكن لوك هاستينغز أشد كتماناً من أي رجل قابلته في حياتها. والأكثر إثارة للجدل. أرادت أن تستمر هذه الليلة إلى الأبد. وتريد أن تتمتع بها لأقصى الحدود، ثم تخزن ذكراها في زاوية سريّة من قلبها كي تكون سلواها ومصدر اعتزازها إلى الأبد.

عندما حان الوقت للعودة إلى المطار، تمردت على انقطاع سهرتها. لأول مرة أدركت، كم تألمت سندريلا عندما دقت الساعة الثانية عشرة، وأجبرتها على ترك الأمير قبل أن يزول السحر وتجد نفسها انسانة عادية، من جديد.

لم يتكلم لوك كثيراً خلال رحلة العودة. وافترضت أنه يحتاج إلى التركيز بالكامل على قيادة الطائرة في الليل. وهي في المقابل، كانت مفتونة بانجذابها إليه إلى درجة ألجمتها عن الكلام. أرادت فقط، وببساطة أن تتمتع باللحظات القليلة الباقية والغالية، قبل أن يزول السحر.

على أي حال، شعرت أنه كلما اقتربا من البوكركي، كلما ازداد لوك انطواءً على نفسه. من وقت لآخر كان ينظر إليها مبتسماً. لم تستطع التخمين في ما هو يفكر، مما وترها كثيراً إلى درجة أنه، عندما وصلا وترجلا من الطائرة، شعرت برغبة في الانتقام.

أقفلت سحاب سترتها وقالت بتشنج: «أشكرك على هذا اليوم الجميل والأمسية الرائعة. أظن أنك قد أدركت أني لم أحظ بمثل هذا الوقت الرائع، طيلة حياتي. لقد تأخر الوقت ويجب أن أذهب. أوقفت سيارتي بالقرب من هنا. لا داعي لأن ترافقني أبعد من ذلك.»

«لدي كل الدواعي لأفعل ذلك.» قال بنبرة قاسية. اليد التي منذ وقت قصير، داعبت يدها حتى تمنت أن تقفز عبر الطاولة وترتمي عليه، هي اليد نفسها التي تمسك ذراعها بقبضة حديدية، الآن.

تضاعفت سرعة نبضاتها، فيما يقودها لوك عبر حظيرة الطائرات. سحبت مفاتيح السيارة من جيبها، وفتحت الباب ولكنه حال بينها وبين الدخول إلى السيارة. رفعت رأسها نحوه باندهاش.

«لقد أخذت الوقت الكافي هذه الليلة، كي تفكري بالجواب على سؤالي. أنا ما زلت أنتظر.»

بما أن أندريا كانت تعرف أنه من الأفضل لها أن لا تتظاهر بعدم فهمها لما قاله، فقد أجابت: «يجب أن أنجز الكثير من الأمور قبل قداس الصباح. هل نستطيع مناقشة هذا الموضوع، الأسبوع القادم، بعد التمرين؟»

«السؤال الذي ألقيته عليك لا يتطلب جواباً إلا نعم أو لا، ولا يحتاج إلى شرح طويل.»

أرادت أن تقول له، إنه بعد هذه الليلة، لا تريد أن تفترق عنه ثانية. وأنها إذا فعلت، فهو سيصبح محور حياتها، وعندها لا يهم إذا أمضى عشرين سنة في السجن. ولكن لوك ذو خبرة ورقي اجتماعي، وأحست أندريا بأنه يتلاعب بها فقط حتى

يحين موعد عودته إلى عالمه الخاص، الذي يلغيها من حياته بالكامل.

«إن صمتك يتكلم بلباقة.»

صرخت به وقد هالها أنه فسر صمتها خطأ. «لو لم أتجاوز صحيفة سوابقك، لكنت أخبرت بول أن يطردك يوم السبت الماضي.»

رفع ذقنها، كي يستطيع رؤية عينيها بصورة أفضل، تفرس بهما وكأنه يبحث عبرهما عن روحها. «إذاً، لمَ هذا التردد؟»

قالت وهي تتمنى أن تلمس يده الممسكة بذقنها: «إن الأبرشية هي كل حياتي.»

«اعتقدت أنكم ترحبون بالغرباء هنا.»

«أنت على الرحب والسعة! مهما طالت إقامتك، وحتى تصبح مستعداً للرحيل.» أضافت بهدوء.

ضغطت أصابعه على ذقنها. «من قال إني سأرحل؟»

«لا أعرف، هل سترحل؟» تفحصته بعينيها. «لا بد أن تتخذ قرارات هامة في ما يتعلق بمستقبلك... أي عمل ستجد نفسك معه بعد أن حرمت من مهنة تجارة الأسهم. ومن الممكن أن تضطر للانتقال بحكم العمل.» هذا ما كان يقلقها أكثر من أي شيء، أن يأتي يوم ويرحل.

«أنت محقة في أن حياتي الآن في مرحلة انتقالية.»

ارتجفت من الألم عندما سمعت هذا الكلام، لأنه ليس الجواب الذي أرادته واحتاجت أن تسمعه. كيف يمكن هذا؟ لا توجد بينهما قواسم مشتركة. باستثناء أي شيء آخر، لوك ليس متديناً إلى درجة عدم الإيمان تقريباً، فيما هي كاهنة مرسومة. أي علاقة دون الزواج غير مقبولة بالنسبة لها، وليس

عندها أي فكرة عما إذا كان لوك مهتماً بالزواج. رجل بقي عازباً لمدة طويلة، من المحتمل أن لا يرغب بذلك. وافتراضاً أنه يرغب بالزواج، هل يريد أن تكون زوجته راعية أبرشية؟ كيفما نظرت إلى الأمر، لا تجد أي أمل في إقامة علاقة دائمة بينهما. والاستمرار بمقابلته سينتج عنه المزيد من المعاناة.

«حقاً، يجب أن أذهب.» قالت مستعجلة.

أصبحت أعماق عينيه خالية من أي تعبير. «ليس من شيمي أبداً، أن أبعدك عن واجباتك.»

تنحى عن طريقها كي تستطيع دخول السيارة. شاهدته، من خلال المرآة الأمامية يبتعد وانتابها شعور جارف بالخسارة، ما الذي يحدث لي؟

www.Rewity.com

الفصل السادس

ذهبت أندريا في الأسبوع التالي، كعادتها بعد ظهر كل يوم جمعة إلى التدريب على كرة الطائرة، ولكن لوك، لأول مرة منذ تعيينه مدرباً، جاء متأخراً. قالت أندريا في نفسها، حسناً ما فعل.

ما جعل أندريا متوترة الأعصاب ومضطربة، هو إضطرارها لأن تتصرف في حضوره بصورة عادية، ولأن تتظاهر، بأن عدم اكتراثه بها، منذ رحلتهما إلى سانتافي لا يزعجها. لم ترغب بالتصرف على غير عادتها أمام الشبان، برغم علمها أن أعصابها تحترق، وأن عواطفها كانت أكثر احتداماً من ذي قبل.

أخذ ريتشي المبادرة، وبدأ الجميع تمارينهم من دون لوك، ولكن بعد عشر دقائق، انتفض كاسي، اليتيم الأب، والذي أصبح لوك بالنسبة له أباً بديلاً، وقال إنه سيتصل به في مكان عمله كي يعرف ما الذي يؤخره.

«مكان عمله؟» رددت أندريا هذه الكلمات وهي تفتح باب مكتبها لكاسي كي يستعمل الهاتف.

أوماً، ابن السابعة عشرة، السمين، برأسه، فيما هو يطلب الرقم من ذاكرته. «نعم، لقد حصل على عمل، الأسبوع الفائت.»

«ما نوع عمله.»

«يقود طائرة للشحن الجوي. أليس ذلك عظيماً؟»

وفر، صوت كاسي وهو يطلب التحدث إلى لوك هاستينغز على الهاتف، عليها الإجابة.

شعرت أندريا وكأن أحداً قد ركلها على معدتها. لماذا لم يذكر لوك لها، استلامه عملاً، تلك الليلة في سانتافي؟ إنه، على التأكيد لا يحتاج لهذا العمل، ليس بما عنده من مال، أو ربما يحتاجه؟ ربما قد خسر كل شيء، عندما دفع ديونه، ولم يتبق عنده سوى السيارة والطائرة. ربما قبل هذا العمل مؤقتاً، وحسب رأيه، غير جدير بالذكر.

غرقت أندريا في مقعدها. لقد قال القاضي إن لوك دفع كل ديونه، برغم ذلك لم يخطر في بالها، أنه ربما يعاني من أزمة مالية. وهو من النوع الذي لا يتكلم عن مشكلاته. عندما فكّرت أكثر بالأمر، اكتشفت أنها لا تعرف أين... وكيف... يعيش. إن مهنة قيادة طائرة شحن، تعد بالمقارنة مع مهنة عميل أسهم مالية، مهنة وضيعة. لقد تعود أن يتعامل بمئات الألوف من الدولارات.

كانت مستغرقة في التفكير عندما سمعت كاسي يخبط سماعة الهاتف على مكانها. شيء ما قد حدث. «كاسي؟»

عبس بألم. «كان من المفترض أن يعود لوك من رحلته منذ عدة ساعات ولكنه واجه طقساً رديئاً. والجميع ينتظرون أن يسمعوا خبراً عنه.»

لم يعجب أندريا ما سمعت ولكنها لم ترغب بأن تدع كاسي يلاحظ قلقها. «أنا متأكدة من أن تأخيراً كهذا يحدث من وقت لآخر. ولا تنس أنه طيار ماهر.»

«إنه الأفضل!» أن يقول كاسي ذلك، يعني أنه اطراء من الدرجة الأولى. لو يعرف لوك مدى تأثيره على هؤلاء الأولاد، برغم الوقت القصير الذي مضى عليه معهم. لم يتفوهوا بشيء عن ماضيه، البتة، وهذا ما يبرهن نظريتها من أن الشبان هم

متسامحون بالطبيعة. ولكان قلب لوك انفطر من شدة تأثره بحبهم له.

«دعنا نعود إلى الملعب، ربما يظهر قبل أن ننتهي من التمرين.» لم تكن واثقة، في الحقيقة، مما تقول ولكنها أرادت طمأنة كاسي والآخرين.

تابعوا التمرين برغم القلق الذي اعتراهم، ومن شدة قلقها، انفجرت ليزا بالبكاء. بعد أن انتهى اللعب، اصطحبت أندريا الأولاد إلى إحدى حوانيت بيع الحلوى القريبة من الكنيسة. وأجّلت زيارتها الليلية إلى المستشفى كي تبقى معهم وتخفف من هواجسهم.

ولكن، من الغباء أن تعتقد أن باستطاعتها تحويل أفكارهم عن لوك. ما أن وصلوا إلى الحانه حتى أسرعوا إلى مقصورة الهاتف العام وتحلقوا حول كاسي وهو يخابر ثانية وشعرت برعشة برد تسري في عروقها.

«لا توجد معلومات عنه إلى الآن.» قال كاسي.

«في هذه الحالة، أقول، لا أخبار هي أفضل من هذا الخبر.» قالت أندريا باشراقة بعد تردد.

نظر إليها مات وكأنها أصيبت بالجنون. «لماذا تتكلمين هكذا؟»

«لأنه إذا كان هناك من حادثة، لكانت الأخبار قد انتشرت ووصلت أسماعنا. لقد ذكروا أن الطقس رديء. لا بد أن لوك بخير وينتظر في مكان ما، تحسن الأحوال الجوية. سأخبركم ما سنفعل. دعوني أدون رقم الهاتف وسأخابر بعد قليل، وإذا حصلت على معلومات جديدة عنه، سأتصل بكم جميعاً لأطمئنكم. ما رأيكم؟»

هز الجميع رؤوسهم موافقين، ما عدا كاسي الذي قال: «الناس يتجاهلون المراهقين أمثالنا، ولكن عندما تخبرينهم بأنك راعية في أبرشية سيفيدونك بمعلومات أكثر.»

«هيا، أهذا ما تظنه؟»

«أجل.» أجابها وهو يبتسم.

«من يريد حلوى؟»

عدة أولاد قبلوا عرضها، ولكن معظمهم فضلوا الذهاب إلى منازلهم. وقبل أن يذهب كاسي أخذت منه رقم هاتف لوك في العمل ووعدت بأن تتصل بهم جميعاً حالما تحصل على معلومات عن لوك. وأدركت أن هذه الليلة ستكون طويلة جداً وهي تنظر إلى وجوههم البائسة.

اتصلت بالهاتف حالما ذهبوا، ولم تحصل على أي معلومات جديدة. عرفت أندريا أنه يعمل لدى شركة رينولدز للشحن الجوي والتي تقع مكاتبها في المطار الرئيسي للمنطقة.

وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى الكنيسة، كانت قد قررت أن تقود سيارتها إلى المطار وتكون على مقربة مما حدث. أن تتظاهر أمام الأولاد وكأن كل شيء يسير على ما يرام هو شيء، وأن تترك بمفردها للهواجس فهذا شيء مختلف تماماً. ستهبط درجة الحرارة إلى ما دون الصفر عند الفجر، والتفكير بأن لوك قد علق في مكان ما، أو أن يكون مصاباً...

حاولت أن تقنع نفسها بأن كل شيء سيكون على ما يرام، وهي تقود على الطريق السريع، كما أقنعت كاسي والآخرين. ولن يخمد قلقها حتى ترى لوك واقفاً أمامها، وتعلو وجهه ابتسامته الشيطانية.

أدركت في هذه اللحظة، أنها وقعت في حب لوك حتى قمة رأسها.

أوقفت سيارتها في موقف مؤقت، وهرعت إلى داخل مبنى المطار وسألت ستة أشخاص قبل أن تعلم أن مكتب الشحن حيث يجتمع الطيارون، يقع في مبنى آخر.

وصلت بعد عشرين دقيقة إلى المكان الذي قصدته. واجهها رجل في العشرين عندما هرعت لاهثة إلى المنصّة، ورمقها بنظرة اعجاب واضحة حالما وقعت عيناه عليها. سمعت أصوات ضحكات وتبادل أحاديث آتية من غرفة مجاورة.

«بماذا أستطيع أن أخدمك؟»

انقطع شريط المطاط الذي كان يربط شعرها، كذيل الحصان وتبعثرت خصلات شعرها حول كتفيها. أرجعت الخصلات التي انسدلت على وجهها وأسرعت في القول: «حسب معلوماتي، لوكاس هاستينغز هو أحد الطيارين العاملين عندكم، وأود أن أعرف ما إذا وصلكم أي جديد عنه. لقد فات على موعد وصول رحلته عدة ساعات.»

نظر إليها متفحصاً وسأل: «هل أنت إحدى قريباته؟»

لولا أن مكروهاً ما قد حدث له، لما سأل هذا السؤال. أحست أندريا وكأن الغرفة تميد بها. «كلا، أنا صديقة، أرجوك، هل عندك أي معلومات؟» ألحت عليه بلهفة.

تلاعب بحلمة أذنه. «هل قلت لي ما هو اسمك؟»

«أنا أندريا مايرز، راعية في الكنيسة، حيث يدرب لوك شبيبتها على الكرة الطائرة. لقد قلق الجميع عليه عندما لم يأت للتدريب بعد ظهر اليوم.»

«أنت راعية كنيسة؟» قال وهو غير مصدق فيما عيناه

تتفحصان كل أنحاء جسمها. عند ذلك، لاحظت أنها لا تزال ترتدي ثياب التمرين تحت سترتها.

«أرجوك.» توسلت إليه. وقد قاربت دموعها على الانهمار بسخافة، وكادت أن تمسك به تهزه لقلة احساسه بالموقف العصيب. وأخذت تفهم لماذا كان كاسي مستاءً بعدما قام بالمخابرة الهاتفية.

لا بد وأنه شعر، أخيراً، بمعاناتها، لأنه قال: «لحظة من فضلك.» تركها ودلف إلى الغرفة المجاورة. توقفت أندريا عن المراوحة، عندما رأته يخرج ثانية بعد عدة ثوان. «هذا مخالف لنظام الشركة، ولكن ماذا يهم. اذهبي إلى الغرفة الخلفية حيث يوجد شخص، باستطاعته أن يفيدك.»

هرعت أندريا خلف المنصّة وهي تشعر بالأسى الشديد، ودخلت غرفة الشحن، وقلبها يكاد أن يقفز من مكانه. شاهدت ثلاثة رجال يتحادثون، ولكنهم توقفوا عن الكلام، حالما دخلت عليهم.

تجمدت فجأة، غير مصدقة ما رأته عيناها. «لوك!» انطلقت منها صرخة ابتهاج قبل أن تعي ما تفعل. «أنت بخير!»

همد صوتها عندما أدركت مدى انفعالها. «أنا... أنا لم ألاحظ.» تلعثمت محرجة عندما رأت طريقة تحديقه إليها، يلتهمها بنظراته، غير مهتم لوجود الآخرين. «طلب مني الأولاد أن أعرف ما الذي حدث لك، عندما لم تأت للتدريب.»

«إنه شيء جميل أن الأولاد افتقدوني.» توقف قليلاً قبل أن يردف: «روستي، سام، اسمحا لي أن أقدم لكما الأخت مايرز.»

صافحت أندريا الرجلين. تقدم الرجل ذو الشعر الأحمر منها، وحام حولها متفرساً. «لو عرفت أني سأحصل على كاهنة مثلك، لأخذت بالذهاب إلى الكنيسة منذ زمن بعيد.»

ضحكت أندريا برقة برغم حراجة موقفها. حاولت أن تنظر إلى كل ما حولها، ما عدا لوك، ومما عقد الأمور، وجود هذين الرجلين يراقبان ويستمعان باهتمام. ألا يوجد شيء أفضل من هذا، يقومان به؟

«أعتقد أنها فكرة حسنة، لو يعلم كاسي أنك بخير قبل أن تغادر هذا المكان الليلة.» خاطبت لوك: «إنه متعلق بك جداً.»

فغر فمه عن الابتسامة التي تسحرها. «إنه ولد رائع. لقد انتهيت لتوي من التكلم معه على الهاتف. سنذهب للتمرين غداً صباحاً، تعويضاً عما فاتنا اليوم. سوف يتصل بالآخرين ويخبرهم.»

لم تستطع منع نفسها من التنهد. «هذا سيساعدهم على قضاء ليلة نوم هادئة.»

«هذا ما أريده لنفسي.» تمتم واقترب منها. «هل تمانع الأخت في أن تأخذ على عاتقها مهمة خير أخرى؟»

«لاحظت خطوط الإرهاق حول عينيه وشعرت بالعطف عليه يعتريها. كانت أندريا متلهفة على معرفة ما حدث للوك، ما الذي أخره، ولكنها فضلت أن لا تسأله الآن. «بالطبع، لا أمانع، كيف أستطيع المساعدة؟»

«هل بامكانك أن تقليني إلى منزلي، في طريقك إلى بيتك؟ من دون ذلك سأضطر للطلب من أحد هؤلاء السيدين القيام بالمهمة. ولكن لن ينتهي دوامهما قبل ساعتين.»

شعرت أنه لم يعد باستطاعة رجليها تحمل وزنها. «ماذا حدث لسيارتك؟»

«وضعتها في مرآب للصيانة، ولم أستطع أخذها بسبب تأخري.»

«إذا لم يكن من مانع في مشاركة المقعد الأمامي مع أغراض ابتعتها، فأنت على الرحب والسعة.»

لمعت عيناه بعاطفة غير مقروءة. «إذاً، هيا نذهب، هل لنا بذلك؟»

ارتدى سترته، وألقى على صاحبيه تحية المساء، ثم أمسك بذراعها وقادها إلى خارج الغرفة. أرخى لوك يده، فجأة حول وسطها، وقربها منه، بينما كانا يتجهان نحو السيارة.

لقد كان أمراً رائعاً أن تشعر بقربه منها بعد خوفها من أن مكروهاً قد حدث له. ولم تحاول إزاحة يده.

قام بحركات مسرحية مضحكة، عندما وصلا السيارة واكتشف أنها مليئة بكل أنواع الحاجيات، مصباح طاولة وصحون ومناشف وأغطية سرير وكراسي نزهة. تنهد لوك واستطاع بعد مناورة شاقة أن يدخل ويجلس على المقعد الأمامي، واضعاً مصباح الطاولة على أرض السيارة، بين قدميه.

رمقها بنظرة اتهام. «لماذا لم تخبريني أنك تنتقلين من منزلك؟ كنت قد ساعدتك.»

«هذه ليست أغراضي. حصل حريق في شقة هيرب ويلسون، في الأسبوع الماضي والتهم كل شيء. إنه يقيم الآن مؤقتاً عند بول. أعلمه آل أندرسون أن باستطاعته الإقامة في إحدى الشقق غير المفروشة بإيجار مخفض. سوف ينتقل غداً، وهكذا، كنت أجمع له الحاجيات التي يحتاجها من أي شخص يريد أن يتبرع له.»

تجهمت تعابيره. «لقد سمعت عن هذا الحريق من نشرة الأخبار. ومن حسن حظه أنه نجا بحياته.»

ولكن أندريا لم تكن راغبة في التحدث عن هيرب. «ماذا حدث لك؟» سألت بصوت مرتجف: «لماذا تأخرت رحلتك؟»

«لم يكن الأمر على هذا النحو المأساوي.»

أغضبتها إجابته. «أنت تستهزىء دائماً بكل الأمور، أخبرني الحقيقة، ولو لمرة واحدة!»

اقترب ووضع يده عليها، مداعباً. فغرت فمها وكادت أن تفقد تحكمها بالسيارة، ولكنه لم يبعد يده. «أنا جائع وقدماي تؤلماني. أريد الذهاب إلى البيت تعالي معي وانتظري ريثما أستعيد نشاطي. عندها، إذا ما زلت ترغبين بسماع ما حدث لي، سوف أخبرك بكل شيء.»

أغراها الاقتراح. كانت خائفة من أن تفعل أي شيء يطلبه منها، لأنها تحبه كثيراً. ولكن هناك ثمن يجب دفعه. «أنا لا أعرف أين تسكن.» أجابت بعد تردد طويل، ملزمة نفسها بقبول عرضه. ضغط على ذراعها برقة. سرت النار في عروقها وأحست أنها ستلتهمهما إذا لم تسارع إلى احتوائها. وكأنه أحس بما يختلج في نفسها، أزاح يده عنها فجأة.

«هذا أمر، من السهل معالجته. يقع منزلي في نورث ڤالي على بولفار ريو غراندي.»

ما كان يجب على أندريا أن تفاجأ إذا كان يقيم في أرقى أحياء البوكركي، فهذا يعني أنه لم يخسر كل شيء خلال المحاكمة، على الرغم من كل ما حدث. يمكنها تصور مسافة تفصل بينهما أبعد من ذلك... من كل النواحي. تقع الأبرشية في الطرف الآخر من المدينة وفي وسط، معظم الناس فيه، من الكادحين. الذهاب والإياب من منزله إلى عمله ثم إلى الكنيسة للتدريب، يتطلب منه قطع مسافات طويلة بعد ظهر كل يوم.

رمقته بنظرة جانبية. كانت عيناه مغمضتين ورأسه ملقى إلى الوراء، فيما رأس المصباح يضغط على صدره. وجهه المتعب والدوائر السوداء حول عينيه جعلتها تموج بالحنان نحوه. من الواضح أنه اجتاز محنة ما. شعرت بسرور شديد، لأنها، هي التي تقله إلى البيت.

«لوك؟» هزت ذراعه برقة. «لقد وصلنا بولفار ريو غراندي.»

أمسك بيدها، من دون أن يفتح عينيه، وضغط عليها. «اجتازي ثلاثة شوارع. ستجدين منزلاً على طراز أدوبي، متراجعاً عن الرصيف. سقفه مسطح ومؤطر بالقرميد.»

عثرت أندريا على المنزل في الحال. من كل المنازل المبنية على مختلف الطرازات، من العصر الانكليزي الإستيطاني إلى العصر الحديث، منزله فقط، بدا أنه ينتمي لهذه الأرض ويعكس روحية الجنوب الغربي.

داخله كان مزخرفاً على الخطوط التقليدية، وأضافت اللوحات والسجاجيد المعلقة اشراقة ألوان عليه. الأثاث ذكرها بالتراث الهندي ـ الاسباني لولاية نيو مكسيكو. منزله يناسب تماماً عائلة كبيرة... واسع، أليف ودافىء. ما أن خطت خطوة واحدة داخل البيت حتى وعت ابعاداً جديدة في شخصية لوكاس هاستينغز وخلفيته. كم بدت زنزانة سجنه كريهة بعد هذا المنزل الكبير. ارتجفت قليلاً.

وضع ذراعه حول كتفيها وقادها نحو المطبخ الساحر المغطى بالسيراميك ويحوي مدفأة. «صُبي لي شراباً، إذا سمحت! احتفظ بالشراب في الخزانة التي تعلو المغسلة.»

«أستطيع أن أتدبر ذلك.»

«حسناً.» ساعدها في خلع سترتها، ومن دون أن تلاحظ، مد يده إلى جيب سترتها وأخرج مفاتيح السيارة. هزها، متدلية من أصابعه. «إنها بوليصة تأمين في أنك لن تغادري، قبل أن أنتهي من الاستحمام.» لم يكن بحاجة إلى هذا التصرف، ولكنه لم يعرف ذلك. «لن أتأخر.»

وهكذا فعل. عاد إلى المطبخ بعد عشر دقائق، حافي القدمين ويرتدي رداء حمام من اللون البني الداكن، الذي تناسق مع لون شعره المتماوج.

سار مباشرة إلى طاولة الافطار، التقط شرابه، وألقى نفسه على أحد المقاعد مطلقاً تنهيدة راحة. ضحكت أندريا ووقفت إلى جانبه مستعدة كي تناوله شطيرة ديك الحبش والبندورة والخس. وما كان منه إلا أنه التهمها في دقيقة.

تبين لها أن مراقبة رجل جائع وهو يأكل هو من أمتع الأمور لتمضية وقت الفراغ. كل شيء يتعلق بلوك، كان يمتعها. من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه. إنها تحب أن تكون معه... هكذا بكل بساطة.

«لوك، لقد صبرت بما فيه الكفاية. أريدك أن تخبرني الآن، ما الذي حدث لك.» ألحت عليه، فيما كانت تناوله شطيرة ثانية.

قال لها بين لقمة وأخرى: «قمت ليلة أمس برحلة اضطرارية إلى بايرد لتسليم كمية من بلازما الدم إلى المستشفى الأهلي، ثم أويت إلى فندق. أقلعت من مطار غراند كاونتي قرابة الساعة السادسة صباحاً في أجواء ملبدة بالغيوم. واجهتني رياح قوية في منتصف الطريق إلى البوكركي. هل سمعت بالرياح الخالصة؟» أومأت برأسها، وقد أدركت ما سوف يقول متابعاً.

«من دون أن أدخل في التفاصيل، قمت بهبوط اضطراري على تل يقع في طرف غابة سيبولا العامة. تحطم، خلال هذه العملية، المحرك الأيمن وجهاز الاتصال اللاسلكي.»

«لوك!» شعرت أن الدم قد غاب عن وجهها.

تناول لقمة طعام أخرى. «لم يكن الأمر بهذا السوء. ما جعل تجربتي مؤلمة، هو السير على الأقدام لمسافة عشرين ميلاً، في درجة حرارة تحت الصفر. خاصة، وأني لم أتناول العشاء، ليلة أمس، وتركت المنزل باكراً، من دون أن يكون عندي الوقت لتناول الفطور.»

عينا أندريا أغمضتا لا إرادياً. كان محتملاً أن أفقده. «كيف عدت إلى البوكركي؟»

«في الحافلة.»

«أنت تمزح من دون شك. ألم يكن باستطاعتهم ارجاعك بالطائرة؟»

هز رأسه نافياً. «كانت الرياح قوية جداً. وعلى أي حال، كانت خطوط الهاتف في ماغدالينا قد تقطعت بفعل العاصفة.»

«لقد نجوت بحياتك بمعجزة!» صاحت. «لقد فقدت طائرتك...»

ضحك برقة. «لا تقلقي... كنت أقود إحدى طائرات الشركة. ستدفع شركة التأمين تعويضاً عن الأضرار. طائرتي، ليتشكرافت، للمتعة فقط.»

«أوه.» شعرت بغبائها ولكن هناك أمور كثيرة عنه لا تعرفها. «هل يقدر رئيسك في العمل، أنك تخاطر بحياتك كل مرة تقوم فيها برحلة جوية لحسابه؟»

«رئيسي في العمل؟»

«أجل، السيد رينولدز، أو كان من كان يملك الشركة التي تعمل لديها.»

ضحك ثانية، من كل قلبه. وقد أكدت ضحكته سحر ابتسامته ومحبته للحياة... وصعقت أندريا بمتعة، آلمتها في كل خلية من جسمها.

«ما الذي يضحك؟ لا أستطيع أن أجد في هذا الأمر أي شيء يضحك.»

«لو استمعت جيداً إلى تعداد ممتلكاتي خلال المحاكمة لتذكرت أن شركة رينولدز للشحن الجوي هي إحدى الشركات التي أملكها.»

ذهلت مما قاله، وعبت ما تبقى من شرابها، دفعة واحدة كان صحيحاً. لم تستطع أن تركز كثيراً في بداية المحاكمة كانت جاذبيته قوية جداً لدرجة أنها أجبرت نفسها لتعيد انتباهاً للشهادة.

«قال كاسي بوضوح إنهم استأجروك كطيار، الأسبوع الفائت.»

«لنقل إنني استأجرت نفسي، لأني أحب الطيران أكثر من أي شيء آخر.»

عبست أندريا. «لقد اعتقدت أنك تعيش وتتنفس سوق الأسهم المالية.»

بدت القساوة في عينيه. «كنت أفعل ذلك، لسنوات طويلة ولكن السجن غير نظرتي إلى أمور كثيرة. ابتعدت عن أسلوب قطع الأعناق في حي وول ستريت بما يكفي، لأدرك أني لا أرغب العودة إلى هذه المهنة أبداً.»

لا يمكن لومه على هذا التفكير، بعدما أتهم بالاختلاس وحُكم

عليه بالسجن. هو يحتاج للنوم من جراء ما حدث له منذ الصباح الباكر، وكي يمحو آثار الارهاق الظاهرة على وجهه.

انتهى من تناول طعامه وشرابه. عندما نظرت في عينيه، وجدت أن النظرة المريرة قد اختفت وحل مكانها لمعان غامض. عندها، قررت أن الوقت حان لكي تذهب.

«ماذا يرغب، سعادتكم، قبل أن يخلد للراحة؟» سألت بنبرة خفيفة.

«لقد أكلت خبزي واحتسيت شرابي، والآن، ما أرغب...» وبجهد بسيط، أحاطها بذراعيه وقربها منه.

سأبقى لدقيقة واحدة فقط وعدت أندريا نفسها. عانقته بعفوية. «شكراً لله، أنك على قيد الحياة.» لم تع أنها تكلمت بصوت مرتفع حتى أحست بيديه تتصلبان.

«هل هذا يعني، أنك ستبادلينني الحب؟» أعادها سؤاله لواضح إلى الواقع بسرعة، ولكنه أمسك بها بشدة عندما حاولت التملص. «هل كانت لك، أي علاقة برجل؟» بازدياد معرفتها به، كان على أندريا أن تعتاد على طريقته المباشرة في الكلام، ولكنها لم تفعل. «هل وقعت مرة في الحب؟»

رفعت، أخيراً، رأسها وواجهت نظرته المتسائلة. «نعم.»

لاحظت انطباق فكيه على بعضهما بعضاً. «نعم، للسؤال الأول، أم للثاني؟»

تلاعبت أصابع أندريا من دون وعي بشعره الداكن. «لم تكن لي، البتة أي علاقة مع رجل، إذا كان هذا ما تريد معرفته، لقد وقعت في حب مارك عندما دخلت الجامعة. والدته كانت مشلولة وتحتاج إلى مدبرة منزل تقيم معها. ومن محاسن الصدف، أني حينها، بلغت الثامنة عشرة من عمري ولم أعد

مجبرة على البقاء في بيوت الرعاية. أعلن مارك عن حاجته لمدبرة منزل تعتني بأمه خلال فترات غيابه. قبلت هذا العمل لأنه يوفر لي الطعام والملجأ، وفرصة اكمال تعليمي في الليل لأحصل على الدرجة الجامعية.»

«لم تذكري مارك، على أنه أحد الأسباب التي دفعتك لهذا العمل.» قال لها ببرودة.

«إذا نحيت جانباً حقيقة، أنه ألطف رجل قابلته في حياتي. لم أكن أشعر نحوه بأي... عاطفة. ليس في البداية. كنت سعيدة لتحرري من رقابة وكالة الرعاية، بصورة لم تترك لي مجالاً للتفكير بأي شيء آخر. ولم آخذ باعتباره أكثر من صديق عزيز حتى وفاة والدته.»

«لماذا لم تتزوجيه، إذاً؟» أدهشها الانفعال في نبرة صوته.

«كنا في طريقنا لاجراء ترتيبات الزواج، عندما انحرفت شاحنة عن طريقها واجتاحت سيارتنا. قتل مارك على الفور. وأنا بقيت في المستشفى قرابة السنة، شبه مشلولة.»

«يا إلهي.»

«لم أكن حينها في أفضل حالاتي النفسية، جدفت بالخالق ولعنت القدر، ولكن بعد ذلك اكتشفت أني لعنت نفسي وكفرت. لأن السعادة بقيت بعيدة المنال عني.»

«عندما قلت إنك كنت شبه مشلولة، هل تعني ساقيك؟»

«كل جسمي، من الرقبة إلى القدمين.»

شتم بصوت خافت وضغط على يدها بقوة. «إذا كان ذلك صحيحاً، فكيف أنت هنا، تتحركين؟»

قرر الاخصائيون في البداية أن الإصابة في عمودي الفقري، ولكن تبين لهم بعد فحوص عديدة، أنه شيء آخر. قال

لي الدكتور النفساني، إن إصابتي نفسية، وإنني أتمنى الموت في عقلي الباطن، ولذلك لا أستطيع الحراك.»

قال بعد أن خيم الصمت بينهما لعدة لحظات: «ما الذي أعادك إلى الحياة؟ إيمانك بالله؟ بالكنيسة؟»

ابتسمت أندريا قليلاً. «أعتقد، في النهاية، أن ذلك هو السبب. أريدك أن تفهم، أن لا أحد من الذين أشرفوا على تربيتي في بيوت الرعاية كان يذهب إلى الكنيسة، وهكذا لم يكن لي أي تجربة في هذا المجال. ثم دعاني مارك مرة للذهاب معه. السبب الوحيد الذي جعلني أذهب معه، هو لأن ذلك يسره. هو ووالدته كانا متدينين جداً.»

وعت أندريا نفسها، إنها تتحدث وتسرد قصتها وهي تشعر بالارتياح وبحسن تصرفها، لمشاركة قصة حياتها مع لوك. لم يكن ليخيل لها أبداً، أن ذلك سيحدث. عندما قابلته في السجن.

«عندما كنت راقدة في المستشفى، زارني أصدقاء مارك من برشيته. البعض قابلتهم من قبل ولكن معظمهم كانوا غرباء عني ولا سبب يدعوهم لزيارتي، ولكنهم فعلوا. ليس لتسليتي فقط بل لتشجيعي على تجاوز المحنة. وقد أغرقوني بالهدايا والبطاقات والأزهار.

«ولكن الشبيبة كانوا، على الأرجح، العامل الأساسي في شفائي. شخص ما في الكنيسة وضع لهم نظاماً كي يأتوا كل يوم بعد انتهاء دوام المدرسة، ولا يهم إذا كان الطقس ممطراً أم مشرقاً. في البداية، كانوا يتحلقون حولي، يعزفون الموسيقى ويلقون النكات التي أعادت الضحكة إلى وجهي.

«كان أحد الشبان، اسمه رود، يهوى لعب الورق. البوكر كانت لعبته المفضلة. وكان هو وأصدقاؤه يلعبون فوق سريري

ويضعون رهانات بسيطة فيما كنت أنا راقدة عليه.» رمقت لوك ووجدته يبتسم. «وهكذا اكتشفت السبب الذي من أجله يأتون دائماً إلى المستشفى. كائن من كان المسؤول عنهم، لم يكن يعرف ما الذي يجري خلال زيارتهم، وأنا بالطبع، لم أوُنب الشبان، لأني كنت أتمتع بصحبتهم.» ابتسمت عندما وصلت إلى هذا الحد من ذكرياتها.

«على أي حال، عندما يأتي دوري، كان رود يمسك بأوراقي، ثم ألقي نظرة عليها وأخبره بما يجب أن يلعب. أمضيت وقتاً طويلاً، راقدة على الفراش دون حراك. ولهذا أتيح لي وقت طويل كي أفكر، تعلمت كيف أعد الأوراق، وكيف ألعب كل نقشة، وكيف، هؤلاء الشبان يفكرون. أنا متأكدة من أن اندفاعي للمنافسة انبثق من ساعات لعبة البوكر. وصل بي الهوس إلى انتظار وصولهم بفارغ الصبر، كي نبدأ اللعب. أصبحت أعيش بانتظار تلك اللحظات.

«في أحد الأيام، وعندما أتى دوري في اللعب...» توقفت وتنحنحت ثم تابعت: «... وفيما يمد رود يده ليلتقط أوراقي أوقفته بيدي، لأنني أردت أن أفعل ذلك بنفسي. والباقي، كما يقال، أصبح من ضمن التاريخ.»

«بالتأكيد، إن شفاءك معجزة.» علق بصوت أجش وخافت. هزت برأسها. «نعم، والسبب هو عدم أنانية هؤلاء الشبان ومن نتيجته، أنني أصبحت أرغب بالذهاب إلى الكنيسة، كي أتفق على السبب الذي جعلهم كذلك... كرماء النفس، يضحون بوقتهم وبأنفسهم. بعد ذلك قررت أن أنضم إليهم. ونتيجة لذلك توقفت عن دراسة إدارة الأعمال، بعد أن اقترح عليّ راعي الأبرشية المحلية أن انخرط في كلية اللاهوت. واكتشفت نفسي.»

أمسك لوك بخصلة من شعرها ولفها حول اصبعه. «لقد لعب القدر بنا بطريقة غريبة. ولولا المحاكمة لما تقابلنا أبداً.» تمتم وكأن صوته صادراً من بعيد، شعرت أندريا أنه يشد شعرها قليلاً.

«كلا. لو لم أعين في هيئة المحلّفين...» لم تفهم لماذا أفلت خصلة شعرها ووضع مفاتيح سيارتها في يدها، نظرت إليه بحيرة وتساؤل.

«نويت الليلة، أن أدفعك إلى أمر حميم، ولكن هذا يعني أنك ستتخلين عن واجباتك الدينية، إن شعوري الآن، أن لا شيء يرضيني أقل من أن تمضي طوال الليل معي، لهذا أسرعي بالعودة إلى أبرشيتك طالما قد استطعت السيطرة على نفسي.»

www.Rewity.com

الفصل السابع

ذهبت أندريا إلى شقة هيرب ويلسون الجديدة للمساعدة في ترتيبها. خلال وجودها وفيما كانت تضع الصحون والمناشف في خزائن المطبخ، سمعت صوتاً آتياً من الغرفة الأمامية. نظرت إلى ساعتها فرأت أنها تشير إلى قرابة الثامنة. ربما بول وهيرب وصلا. تركت ما بيدها وخرجت تستطلع الأمر، كادت أن ترتطم بكاسي ومات اللذين كانا يحملان جهاز تلفاز ضخماً. ألقيا عليها التحية بصوت ودود بعد أن وضعا الجهاز في مكانه إلى الحائط.

«من تبرع بذلك؟»

«أنا فعلت.»

استدارت أندريا في الوقت نفسه ورأت لوك يدلف من الباب الأمامي وقد ارتدى ثياب التمرين للكرة الطائرة أسوة بالآخرين، سروالاً قصيراً وقميصاً قطنياً. وكان يحمل كرسياً هزازاً من الجلد الداكن. تقابلت نظراتهما، ولكن لمعان العاطفة الذي شاهدته في عينيه، ليلة الأمس، اختفى، الأمر الذي جعلها تحس بقشعريرة برد تسري في جسمها.

«صباح الخير، أيتها الأخت.»

«صباح الخير.» ردت عليه بهدوء. إلقاء تحية الصباح بصورة رسمية، لم يترك مجالاً للشك في إنه يتراجع عما قاله فقد وصلا ليلة أمس إلى طريق مسدود. لقد أصبح لوك يعرفها جيداً، وأدرك أنها لن تقيم معه علاقة إلا إذا تزوجا. وهكذا إذ

لم يصل إلى درجة الرغبة في الزواج منها، فعلى الأرجح، سيتركها وشأنها من الآن وصاعداً.

لم يجدها نفعاً، أن تذكر نفسها، بأن ما حصل هو ما كانت تتوقعه دائماً. من كان يظن أن تعلقهما ببعضهما البعض سينمو إلى درجة أنه لم يعد باستطاعتهما البقاء بمفردهما دون أن تراودهما رغبات قد لا يمكنهما مقاومتها؟ أن تكذب على نفسها، فهذا أمر يستنزف قواها. إنها تحبه بعنف وتريده بقربها في جميع الأحوال.

«عندما يرى هيرب جهاز التلفاز الذي جلبته، لن يصدق عينيه، فهو لا يخرج من البيت كثيراً، بسبب إصابته بتصلب الشرايين، ومن المؤكد أن الجهاز سيكون سلوى عظيمة بالنسبة له. كيف استطعت العثور على متجر مفروشات يفتح في هذه الساعة المبكرة من الصباح؟»

«أنا لم أفعل.» قال وهو يشبك أسلاك الجهاز ويوصلها بالكهرباء بمساعدة الولدين. «لقد جلبته من مكتبي وما كدت استعملته خلال السنة الفائتة. وقررت أن الجهاز يجب أن يكون حيث الحاجة إليه أكثر.»

«هذا كرم كبير منك يا لوك.» قالت متأثرة.

«لم يكن أمراً من هذا القبيل، لأني أملك جهازين آخرين في البيت، ولم أضح بشيء احتاجه. الكرم يعني أن تعطي من نفسك، أن تعطي شيئاً مهماً.»

لم تترك هذه الملاحظة لأندريا أي مجال للكلام، ولكنها تركت لها الشيء الكثير لتفكر به، عادت إلى المطبخ لتنهي وضع الأغراض في الأدراج.

تساءلت أندريا باستغراب، لماذا لا يدع لوك أبداً أياً كان،

يمدحه، ويقلل من قيمة أعماله الخيرية. ناداها، فيما كانت تضع أحد الأدراج في موضعه: «سنبدأ التمرين عند الساعة التاسعة، أيتها الأخت. حاولي أن لا تتأخري هذه المرة.» أزعجتها ملاحظته إلى درجة أنها أرادت أن ترميه بكل ما في يديها.

وصل بول وهيرب مع بعض سيدات الأبرشية بعد دقائق من مغادرة لوك والولدين. أنهت أندريا عملها في المطبخ وذهبت لتحيتهم. وأدركت على الفور سبب بهجتهم وتعليقاتهم. كرم لوك لم يتوقف عند حد التبرع بجهاز التلفاز، فقد أنهى هيرب، لتوه، اخراج أريكة مخملية وطاولة قهوة، فرنسية الطراز، تبرع بهما لوك، بصندوق الكرتون. وقف الرجل المسن في وسط الغرفة يبكي من التأثر، فيما كانت عينا بول تلمعان بالبهجة ويكاد قلب أندريا أن ينفطر.

جلبت مارغو سلون، التي كانت إحدى السيدات اللواتي رافقن بول وهيرب، كمية من أغراض البقالة والمعلبات. سارت نحو أندريا وهي تتجه إلى المطبخ، وهمست في أذنها: «كيف، بالله،، استطعت الحصول على هذه الأشياء؟»

«تبرع بها عدة أشخاص.» أجابتها أندريا ثم أضافت وهي تشعر وكأنها تزيح شيئاً كان يرزح على صدرها: «أعتقد أن لوكاس هاستينغز، قد تبرع بمفروشات غرفة الجلوس.»

كادت أندريا أن تضحك على تعبير الذهول الذي اعتلى وجه مارغو.

«يبقى أن نسأل، عما إذا دفع ثمن هذه الأشياء أم لا.» قالت مارغو بلؤم. «هل عرف المشرف القضائي بذلك؟»

«لقد تأكدت أن كلاً من هذه القطع أتت من منزله.»

لمعت عينا مارغو سلون بنظرة اتهام. «أجل، لقد لاحظ جميع من في الأبرشية، كيف أصبحتما متقاربين جداً. لو كنت مكانك، لكنت أكثر حذراً في اختيار الأصدقاء.»

«أرجوك، يا سيدة سلون، لا تهدديني وإلا، سأطرح بنفسي هذا الموضوع، على مجلس الكنيسة. للوكاس هاستينغز كل الحق في الاستمرار في حياته، وطالما يقوم بواجبه نحو الأبرشية، سيرحب الجميع به.»

«سوف نرى ذلك.» ردت عليها.

كاد غضبها أن يدفعها إلى تصرف عنيف، فأرتأت أن تنسحب وتوجهت نحو بول وقالت: «سأعود إلى الكنيسة من أجل تمرين الكرة الطائرة.»

«كيف تجري الأمور هناك؟»

«لن يمكنك أن تميز الآن، إننا الفريق نفسه.»

فرك بول يديه بعضهما ببعض. «مسألة الدورة كانت الموضوع الرئيسي الذي دارت الأحاديث حوله على طاولة العشاء، ليلة الأمس. تعمدت أن لا أتكلم كثيراً عن لوك. فنحن لا نستطيع أن نجازف في أن يسرق فريق آخر مدربنا القدير.»

«الأولاد لن يتحملوا ذلك.» ابتسمت أندريا وهي تشعر أن غضبها أخذ بالتلاشي. وإذا حدث واضطرت للامتناع عن التكلم مع مارغو سلون، فلن يكون ذلك بعيداً. «سأراك لاحقاً في الكنيسة، يجب أن نراجع التقارير المالية قبل حضور مدقق الحسابات.»

«أيتها الأخت.» قاطعهما هيرب. «أريد أن أشكرك على كل ما فعلت.»

استدارت وصافحته. «أنا أعرف ما هو شعورك تماماً،

لأنني تلقيت سابقاً معونة الأبرشية أيضاً. إنه أمر يدعو للتواضع. دعنا نعرف في ما إذا احتجت إلى أي شيء آخر.»

ودّعت الجميع وهرعت إلى سيارتها. كان تأنيب لوك على تأخرها ما يزال يدوي في أذنيها. من الممكن أن تصل في الوقت، إذا أسرعت. هذه المرة، أرادت أن تفاجئه.

ولكنها وصلت متأخرة عدة دقائق، وانضمت لبقية الفريق في حركات التسخين. باستثناء القاء نظرة سريعة، لم يميزها لوك عن الآخرين واستمر بالتدريب.

أدركت أن توجيهات لوك هي السبب في أنها لم تعد تخاف من الكرة عندما تلقى إليها. والأفضل من ذلك، أنها تعلمت كيف تضرب الكرة من فوق الشبكة إلى آخر خط الفريق المقابل. ليزا، أيضاً تخلت عن الكثير من مخاوفها وهي تحاول أن ترد الكرة الآن، بدلاً من تركها تطير من فوق رأسها. لم يبق على موعد بدء الدورة إلا عشرة أيام وبمساعدة لوك أصبحوا فريقاً جاهزاً.

غياب تيسي سلون، كان النقطة السوداء الوحيدة، فهي لم تأت للتمرين منذ أسبوع. لم يتحدث أحد في الأمر ولكن أندريا عرفت أن السبب ليس عزوف تيسي بل منع أمها لها. لا تمل هذه الفتاة المسكينة أي فرصة تجاه أمها المتسلطة.

عندما سمح لوك للجميع بالذهاب، وضعت أندريا الأدوات الرياضية في الخزانة وتوجهت نحو مكتبها. لحقها عن قرب وأغلق الباب وراءهما عندما أصبحا داخل المكتب. تمنت لو لم يفعل ذلك. وجودهما على انفراد في غرفة واحدة لم يعد مستساغاً. «ارتاحي أيتها الأخت، أنا لست على وشك التطفل كل ما أحتاجه، هو بضع دقائق.»

«لا بد أني لم ألعب بشكل جيد خلال التمرين.» مازحته في محاولة لتخفيف التشنج بينهما.

«ليس هذا ما لاحظته. أنت تستوعبين بسرعة وتتحسنين طوال الوقت. وتصبحين منافساً لا يستهان به. هذا ما قاله مات... الذي يبدو أنه يعشق الأرض التي تمشين عليها.»

«لقد اخترت الوقت المناسب لمغادرة شقة هيرب ويلسون. لولا ذلك، لأعاد مات النظر في رأيه بي.»

تجهمت تعابيره: «لا تتكلمي بالألغاز. أخبريني بما حدث.»

لفت أندريا نفسها بذراعيها واستندت إلى الطاولة. «تجادلت مع مارغو سلون وتحولت المجادلة إلى نوع من المبارزة الكلامية.»

«بسببي.»

«لوك، هناك شيء يجب أن تعرفه. لم ترض مارغو، قط، عن تعييني مساعدة أبرشية. إنها لا تعتقد أنه من المناسب أن يسند هذا المركز إلى امرأة، وهي قاطعتني من حينها. وهي تتحين، وتوقعي في خطأ ما، كي تشير إلى ذلك وتعمل على إهانتي أمام المجمع الديني. لم أعر هذا الأمر بالاً، حتى الآن. ولكن أن تستغل وجودك ضدي، فهذا شيء آخر، ولن أتقبله.»

أمسك بكتفيها وأجبرها على النظر إلى وجهه. «في حال أنك لم تلاحظي...» لمعت عيناه. «... أنا رجل بالغ وأستطيع الاعتناء بنفسي. أنت من بحاجة للحماية. لولا اقتراب موعد الدورة، لخرجت من حياتك في الحال. ولكن الأولاد يعتمدون عليّ.»

هل هذا صحيح؟ هل كان سيختفي من حياتها لولا اقتراب الدورة الرياضية؟ وماذا سيحدث بعد ذلك، بعد أن تنتهي هذه الدورة؟

«هل تعتقد من مغزى كلامي، أني أطلب منك الرحيل؟» صرخت بوجهه مستاءة من دون أن تعي أنها تشد قميصه بكلتا يديها. «السبب الوحيد لإثارة هذا الموضوع لأنبهك كي تأخذ حذرك، في حال حاولت مارغو أن تثير المتاعب. لا أريدك أن تتأذى. إن النظرة التي في عينيها...»

«لا وسيلة عندها لتؤذيني بها غيرك أنت. سأخفف من حضوري حتى انتهاء المباريات. وهذا ما كنت أريد التحدث به عندما أتيت إلى هنا.»

«ماذا تحاول أن تقول؟» شعرت بالألم في قلبها يتزايد.

«لن آتي في الأسبوع القادم. لقد بحثت الأمر مع ريتشي، الذي سيدرب الفريق خلال غيابي حسب التوجيهات التي أعطيتها له. ولكن سأعود لأشرف على التمارين الثلاثة الأخيرة قبل بدء الدورة.»

أفلتت قميصه من بين يديها. «هل لأعمالك علاقة بذلك؟»

بدا وكأنه يتردد. «لا.» قال بهدوء، هازاً رأسه. شد قليلاً على كتفيها ثم تركهما وابتعد.

أحست أن ابتعاده كان انفعالياً أكثر منه فعلياً. لأنه لم يقدم أي تفسير يعني أنه يغلق نفسه عنها، وينبذها، قالت في نفسها، إنها تستطيع أن تعتاد على ذلك، ولكن الألم الذي شعرت به كاد أن يشلها. لن يستطيع أبداً معرفة مقدار الجهد الذي صرفته في السيطرة على نفسها ومنع نفسها من ذرف الدموع في الوقت الذي ابتسمت له فيه.

«أنا والأولاد سنمارس كل التمارين التي علمتنا إياها. أتمنى لك حظاً سعيداً في كل ما تريد عمله.»

«أندريا...»

«نعم؟» أجابت وهي تحاول أن تمسك بخيط ضئيل من الأمل، في أن يتحدث إليها ويخبرها بما يحدث.

«سأراكم جميعاً بعد أسبوع.»

تمزق قلبها عندما غادر مكتبها. كان على وشك الافصاح عن أمر ما، إنها متأكدة من ذلك، ولكنه عدل عن ذلك. لماذا؟ كثيراً ما سمعت أندريا القول. «العيش في دوامة من الفراغ.» ولم تفهم حقاً ما يعني ذلك إلى أن أصبح لزاماً عليها أن تعيش أسبوعاً كاملاً من دون لوك. وأخافها، عدم رضاها عن الحياة والفراغ الذي خلفه حولها. كانت تتوقع سماع صوته كلما رن جرس الهاتف في المكتب أو في البيت، ثم تؤنب نفسها على التعلق بأمل ليس له أساس.

في ليلة يوم الجمعة اللاحق، عادت أندريا إلى البيت من جولتها المسائية على المستشفى، لتجد سيارة دوريس تتوقف على الرصيف. أوقفت أندريا سيارتها، مباشرة وراء سيارة دوريس، وخرجتا في آن من سيارتيهما.

«دوريس. يا لها من مفاجأة! هل انتظرت طويلاً؟»

«قرابة الساعة.»

تجهم وجه أندريا. «لماذا لم تعلميني بزيارتك قبل مغادرتي إلى المستشفى؟ كنا قد اتفقنا على موعد لقاء.»

«لأن شيئاً قد حدث بعد مغادرتك، ووجدت أنه يجب أن أطلعك عليه، حتى ولو اضطررت للانتظار حتى منتصف الليل.»

هل الأمر يتعلق بلوك؟ أحست فوراً بدوار بسيط في رأسها. «نا... أهي أخبار سيئة؟»

«لم يصب لوكاس هاستينغز بمكروه ولم يمت، إذا كان هذا ما تتساءلين عنه.» أدركت دوريس ما كان يجول

بخاطرها بوضوح. «دعينا ندخل البيت، وسأخبرك بكل شيء.»

كانت مايبل تختلس النظر إليهما، من خلال نافذة منزلها، فيما كانتا تعبران الممر إلى الشقة تجاهلتها أندريا وفتحت الباب. دعت دوريس للجلوس بعد إنارة الضوء في غرفة الاستقبال.

«أعتقد أنه أنت، من يحتاج للجلوس قبل أن تنهاري.»

«لا أستطيع. عندما تكون أعصابي متوترة، يجب أن أبقى واقفة. أخبريني عما جرى.»

تنهدت دوريس ثم قالت: «بكلمة واحدة، إنها مارغو سلون.»

«كان يجب أن أخمن ذلك.»

«أوه يا أندريا، أنت لا تعرفين نصف ما جرى.»

«إنها ترغب بالتخلص مني.»

«إنها ستحاول ذلك.» أتاها الرد وكأنه نذير شؤم.

توقفت أندريا عن المراوحة. «أخبريني بما تعرفين.»

«إن مصادري موثوقة مئة بالمئة.»

رمقتا بعضهما البعض. «أتعنين ابنتها، تيسي.»

أومأت دوريس برأسها إيجاباً. «كما تعرفين، تأتي تيسي أحياناً لتجالس أطفالي ليلة أيام الجمعة عندما يكون غريغ مسافراً ولا تتمكن والدتي من المجيء. كانت مستاءة جداً عندما أتت الليلة ولم أحتج للالحاح الشديد كي تخبرني عما جرى لها.»

«أنا أعرف أنها مستاءة لأن أمها، مارغو، غصبتها على ترك فريق كرة الطائرة.»

«ما سأخبرك إياه، أسوأ بكثير، يا أندريا، قدمت مارغو

تقريراً إلى الرئاسة العليا للكنيسة تطلب فيه إقالتك، كي لا تستطيعي أن تخدمي في أي أبرشية أخرى ثانية.»

«ماذا؟»

«يبدو أنها كانت تفكر في هذا الأمر، منذ مدة طويلة. عندما سمحت أنت وبول للوكاس هاستينغز بتولي تدريب الأولاد، وضعت سلاحاً بيدها. لقد رأت سيارتك متوقفة أمام منزل لوك منذ عدة ليال، وجمعت واحداً مع واحد لتحصل على اثنين، لا تسأليني، كيف صدف أنها مرت بالقرب من بيت لوكاس في ذلك الوقت بالذات.»

لم تستطع أندريا الكلام من هول الصدمة.

«من بين الاتهامات التي رمتك بها، تهمة الاهمال المتعمد... العمل للقيام بنزهة مع الأولاد برفقة مجرم سابق وتعريض حياتهم للخطر.»

«هل هي تدرك أنها تدين بول في الوقت نفسه؟» أصبحت أندريا تغلي من الغضب.

«لم يعد سراً، أنها تعتقد أن بول فقد تماماً فعاليته كراع للأبرشية وأنك أنت من يدير شؤونها. ما تريده هو تغيير شامل.»

«ألا تحترم أي شيء، هذه المرأة؟»

«أعتقد أنها مهووسة، ولكنها خطرة وتحارب على جميع الأصعدة. ذهبت مباشرة إلى مجلس الكنائس المشتركة لتخبر رؤساءه أن الرجل الذي يدرب فريقنا له سوابق إجرامية. وتحاول أن تقيله قبل بدء الدورة.»

«لن أدعها تفعل ذلك!»

«هذا ليس أسوأ ما في الأمر. لقد طلبت أن يفتح تحقيق للكشف عن ماضيك.»

تجمدت أندريا في مكانها. «هل تكرهني إلى هذا الحد؟»

«ليس أنت كشخص.»

«إنه أمر مضحك، أليس كذلك؟ كنت دائماً قلقة، في كلية اللاهوت في أن يعترض رجل على قدرتي في أن أكون كاهنة...» خفت صوتها تدريجياً وحدقت إلى دوريس. «هل هناك من شيء آخر؟»

أومأت صديقتها بالإيجاب وهي تشعر بالتعاسة. «اكتشفت مارغو أنك حللت مكان بول بالذهاب إلى السجن، منذ عدة أشهر. وعرفت من مايبل، أنك ولوك على صداقة، عندما حضر الاجتماع في منزلك، الشهر الفائت. إنها تستغل ذلك كي تبرهن على تودد لسجين قبل أن يطلق سراحه بفترة طويلة.»

«أتودد.» إنها الكلمة المناسبة. لو استطاعت مارغو الوصول إلى حارس السجن الذي شهد عناقهما، لاكتشفت أنها عثرت على خاتم سليمان.

«إنني مندهشة لأن تيسي فتحت قلبها لك على هذا النحو.»

«إنها خائفة يا أندريا، تعرف أن أمها تتصرف على نحو خاطىء ووالدها لا يجروء على رفع صوته أمام مارغو. أردت أن أخبرك بذلك، كي تستعدي للأمر.» وقفت دوريس وحضنت أندريا.

«تمنيت كل حياتي أن أحصل على صديق حقيقي، إنسان أستطيع أن أثق به وأأتمنه على أسراري.» قالت أندريا: «وهذا الانسان هو أنت يا دوريس.»

«ماذا ستفعلين؟» سألت دوريس فيما تمسح دمعة انهمرت على خدها.

«كان بول مرشدي الروحي منذ تخرجي من كلية اللاهوت وهو الشخص الذي سأبحث معه هذا الأمر.»

«هذا حسن، كلما أسرعت كلما كان ذلك أفضل. سأذهب الآن إلى البيت إلا إذا كنت تفضلين بقائي. اتصلي بي في أي وقت، ولو كان منتصف الليل. وسآتي في الحال.»

«قد تندمين على هذا العرض.» تمتمت أندريا، ثم شكرت صديقتها ثانية ورافقتها إلى الباب.

هرعت أندريا إلى المطبخ، حالما غادرت دوريس وطلبت بول على الهاتف. وعندما أجاب، قالت له: «شكراً لله، لأني وجدتك.»

«أندريا؟»

«أجل، هنالك أمر يجب أن نتحدث فيه، يا بول، الليلة، إذا أمكن.»

«في الحال إذا أردت، كيف أستطيع مساعدتك؟»

«سيستغرق شرح الأمر طويلاً.»

«لدينا الليل بطوله.»

«ليباركك الله.» همست، فيما الدموع أخذت بالتدفق من عينيها. «كانت دوريس بانتظاري عندما وصلت إلى البيت بعد جولتي على المستشفى. ويظهر أن تيسي سلون التي أتت إلى منزلها كي تجالس أطفالها هذا المساء. أخبرتها... روحت عن نفسها و... و...» ولم تستطع اكمال جملتها لأنها انخرطت بالبكاء.

«أندريا؟» بدا في صوته أنه أصبح قلقاً.

تمالكت أعصابها وأخبرت بول بكل ما سمعته. عندما انتهت من سرد القصة... بما فيها الوقوع في حب لوك... استطردت نائلة: «أنا ضائعة، ولا أستطيع أن أقرر من أين أبدأ.»

«أنا لا أستغرب هذا الأمر يا عزيزتي، ولكني سأخبرك بما

يروح عن نفسك. لقد تغلبت على عواصف أسوأ من هذه خلال أعوامي الخمسين في خدمة الكنيسة. وسوف نتغلب على هذه العاصفة. تذكري أن مارغو عندها مشكلات خاصة بها، ومنذ ما قبل قدومك. كل من يسمعها لا يسعه إلا أن يلاحظ ذلك، ولا تقلقي، لن يأخذ أحد كلامها جدياً.»

تنفست أندريا بتقطع. «أتمنى أن تكون على حق. أكثر ما أخافه، هو أن تُشهر بلوك. وهذا ليس عدلاً، خاصة بعد ما جرى له والأشياء الرائعة التي قام بها من أجل الأبرشية في الوقت القصير الذي أمضاه هنا.»

«هذا صحيح، حتى لو وصلت إلى حد إرسال تقرير إلى مجلس الكنائس المتحدة، سيوافقون معك. لقد دفع لوك ثمن جريمته. لقد أصبح هنك منسياً ومن الماضي. لن تصل مارغو إلى نتيجة. ثقي بي. إنها المثال الحي للعاصفة في فنجان.»

«عقلانياً، أصدقك. ولكن عاطفياً...»

«عاطفياً، هي تخيفك.» أجاب عنها. «لا تدعيها تفقدك توازنك، فهذا ما تريده. أريها من أي خامة أنت مجبولة وحاربيها لآخر الطريق.»

استلقت أندريا على فراشها، بعد مضي وقت طويل على انتهاء مكالمتها مع بول، تتأمل في حثه لها على مقاومة مارغو. وهذا بالتحديد ما نوت عليه. حبها للوك يلغي جميع الاعتبارات الأخرى.

لقد مضت خمسة أيام على غيابه... عمر بكامله. تساءلت كيف ستمضي بقية الأسبوع، حتى عودته. تمنت لو أن الفراق آلمه مثلما آلمها...

الفصل الثامن

اختارت أندريا بعناية فائقة الملابس التي ارتدتها للذهاب إلى الكنيسة، وجهدت في تصفيف شعرها. ارتدت ثوباً زهرياً لم يشاهده لوك عليها من قبل، هفهف حول جسمها المتناسق. لمع شعرها بعد تسريحه وتراقص متراخياً على كتفيها باغراء.

أرادت أن تظهر على صورة لن ينساها لوك أبداً، برغم أن إمكانية مجيئه اليوم إلى الكنيسة كانت ضئيلة جداً. نصحها بول بالوقوف في وجه مارغو، وهذا ما ستفعله بالإضافة إلى أنها تريد أن يتيم لوكاس هاستينغز بها، على الرغم من كل العوائق، وأن يريدها أن تصبح شريكة عمره بقدر ما تريد ذلك.

تبرجت، داخل غرفة الحمام، بالكحل وأحمر الشفاه الزهري فيما كانت تدندن لحناً خفيفاً. ثم تضمخت بالعطر ووضعت عقداً من اللؤلؤ حول عنقها... هدية عيد الميلاد من بول، تناسق مع لون فستانها وأبرز اللون الزهري لأحمر الشفاه الذي وضعته.

عندما رضيت تماماً عن مظرها، غادرت إلى الكنيسة في الساعة السادسة والنصف، وقد نفد صبرها وتوترت من فرط حماسها. كان لوك يعرف أنها تصل الكنيسة قبل أن يصل أي من الآخرين بفترة طويلة، في صباح أيام الأحد، وكانت تتمنى أن يكون بانتظارها. اعتراها إحساس بالاحباط عندما لم تشاهد سيارته متوقفة في موقف السيارات. لكنها قاومت هذا الاحساس، فهذا اليوم ما كاد يبدأ.

«أندريا!» جمدت دوريس عندما دخلت المكتب، قرابة التاسعة وشاهدت أندريا تقف إلى جانب خزانة الملفات.

«أووه! ماذا فعلت بنفسك؟ أنت تبدين خلابة، مذهلة!»

مدت أندريا يديها وحضنت صديقتها ضاحكة. «لو لم تقولي ذلك، لذهبت الآن إلى البيت وبدأت من جديد بالتبرج.»

«أنت تدركين أن لا أمل لدى لوكاس هاستينغز في مواجهة هذا السحر.»

«هذا مرادي.»

نظرت دوريس إليها متفحصة وقالت: «أتعرفين، أعتقد أنك وقعت في حبه منذ أيام المحاكمة.»

ابتسمت أندريا ولمع الحب في عينيها. «هذا ما أعتقده أنا، أيضاً.»

قالت دوريس بعد توقف قصير: «بعد الذي أخبرتك به تلك الليلة، بت أخشى أن لا تأتي اليوم... ولم أكن لألومك.»

أخذت أندريا نفساً عميقاً وقالت: «هذا ما كان تلك الليلة، أما اليوم، فإن العالم كله يبدو مختلفاً.»

«هل السبب هو لوكاس هاستينغز؟»

«أجل. ولأن بول جعلني أدرك أن مارغو هي امرأة سقيمة. ولن يأخذ أحد كلامها بجدية.»

أومأت دوريس برأسها. «أنا متأكدة من ذلك.»

استدارتا معاً عندما سمعتا خبطاً على الباب المفتوح. «أيتها الأخت!» وقف هال تف بالباب، يحدق بأندريا كالمأخوذ بفعل سحرها الذي زاد عما كان مفترضاً. تنحنح عدة مرات. «إن مجلس الكنيسة سيجتمع اليوم بعد القداس.»

«لم ألحظ ذلك على البرنامج.» تكلمت بنبرة رزينة وهادئة.

وهي تعلم تماماً ماذا يخبىء لها هذا الاجتماع. تبادلت مع دوريس نظرات ذات مغزى.

تململ في وقفته وأجاب بعد أن تنحنح: «لا، لم يكن. لقد تقرر هذا الاجتماع بسبب أمر حدث بعد وضع البرنامج.»

«شكراً لاخباري يا هال. لقد أعلمت بول على ما أعتقد.»

«أنا في طريقي إلى مكتبه، في الحال.»

«حسناً. سوف ألتقيك في الاجتماع.»

انفجرت دوريس ضاحكة في اللحظة التي أغلق فيها الباب وراءه. كتمت الضحكة، سريعاً، بوضع يدها على فمها، ولكن ليس قبل أن تنضم إليها أندريا في الضحك. أدركت الفارق الكبير بين ما كانت تشعر به ليلة الجمعة وبين شعورها المليء بالبهجة والتصميم في هذه اللحظة. استطاعت، أخيراً أن تتخذ بعض القرارات... قرارات في الاتجاه الصحيح.

ولكن من الصعب أن تبقى على تفاؤلها وقد بدا أن لوك لم يأت إلى القداس. رفضت، برغم ذلك، أن تتقبل فكرة قيامه بالانسحاب من الابرشية... فهو لن يقدم على هذه الخطوة.

أدركت أندريا، خلال مقابلة مع أحد معلمي مدرسة الأحد، الذي كان مغادراً في اجازة ويبحثان عمن يحل مكانه، أن الاجتماع قد بدأ على الأرجح. فاعتذرت منه وقطعت المقابلة. سارت نحو قاعة الاجتماعات الكبيرة. بعد أن أخذت نفساً عميقاً. وحاولت ابقاء خطواتها... ومعنوياتها... ثابتة وحازمة.

ما أن دخلت القاعة، حتى أحست بشيء غير عادي. جالت نظرها إلى الخمسة عشر شخصاً الموجودين في الغرفة وتوقفت عندما وقع نظرها على لوك.

أثارتها رؤية وجهه الوسيم، الذي راقبته يوماً بعد يوم خلال المحكمة، والذي حرمت من رؤيته لمدة اسبوع. وبادلته النظرات بجرأة، غير آبهة لما قد يظنه الآخرون. ولاحظت أن بدلته الرمادية وربطة عنقه تناسقتا تماماً مع لون شعره المنسدل على ياقة سترته الأنيقة. شعرت أندريا بتسارع الدم في عروقها وهي تنظر إليه.

أعادها صوت هال إلى الواقع، جلست على أقرب مقعد وجدته خاليا، ولكنه كان في الطرف الآخر من مكان جلوس لوك. كان عزاؤها في ذلك، أنها لم تكن مضطرة لمواجهة العداء الظاهر بوضوح على وجه مارغو سلون.

«باستطاعتنا أن نبدأ، بما أن العدد قد اكتمل بحضور الأخت مايرز.» بدا أن هال يواجه صعوبة ما، لأنه ما فتىء يتنحنح. فهمت أندريا السبب. لم يكن هال رجلاً حازماً، وهذا الاجتماع هو أول مهمة مزعجة له بعد أن أصبح رئيساً لمجلس الكنيسة.

«لقد تلقيت اتصالاً هاتفياً من المركز الرئيسي للكنيسة.» بدأ حديثه. «ويبدو، أن واحداً من رعيتنا كتب له رسالة تتعلق... بمشكلة. لقد بعث لي بهذه الرسالة لأن هذا هو الاجراء المناسب في قضايا كهذه. وحسب قانون الكنيسة، فالأبرشيات المحلية هي المسؤولة عن حل هذه القضايا، بما فيها الأمور المالية وكيف تواجه المعضلات الاجتماعية. لهذا طلبت هذا الاجتماع لنبحث في هذه الشكوى...» اسرع بانهاء كلامه «... وأنا واثق من أننا سنجد حلاً، يرضي الجميع.»

غمز بول أندريا. أدفأت هذه الحركة قلبها، وأومأت له برأسها كي لا تضطر إلى مبادلته الابتسام. لقد عادت الزوبعة إلى فنجان القهوة، كما توقع بول.

«عندنا التماس مقدم من مارغو سلون العضو في ابرشيتنا وموقع منها ومن عدة أعضاء آخرين بمن فيهم مايبل جونز، العضو، أيضاً في أبرشيتنا. إنهم يحتجون على تعيين لوكاس هاستينغز مدرب فريق الكرة الطائرة لأنه مجرم سابق. ويذكرون أنهم لا يوافقون على اختلاط شبيبتنا معه على هذا النحو. وهو ليس بالقدوة الحسنة لصغار السن. إنهم يطلبون اعفاءه من واجباته.»

توقف قليلاً ثم نظر باتجاه مارغو سلون مباشرة وسأل: «هل هذا كل شيء؟»

وقفت مارغو وأجابت: «أطلب أن يغادر السيد هاستينغز الغرفة قبل أن نتابع الاجتماع.»

طلب بول الاذن في الكلام. بدأ يتكلم وابتسامة لطيفة تعلو وجهه: «ربما نسيت يا مارغو أن الجميع مرحب بهم لحضور الاجتماع. عندما عرفت محتوى هذا الالتماس، اتصلت هاتفياً بالسيد هاستينغز وطلبت منه حضور الاجتماع. لم يسبق لنا اتباع سياسية الباب المقفول. لقد أطلقت عدة اتهامات على انسان مثلنا. وله الحق، في أن يعرف موقعه.»

شعرت أندريا برغبة في أخذ بول بالأحضان ومعانقته بسبب هذا الكلام.

«تختلف الظروف المحيطة بالقضية كثيراً عما عهدناه في قضايا سابقة.» قالت مارغو بصوت مرتفع. «نحن نتكلم عن الرجل الذي سرق مليوني دولار لأجل... لأجل ارضاء الذات. إنه طراز من الرجال لا نريد التعامل معه أبداً.»

لم يعد باستطاعة أندريا أن تبقى صامتة حتى ولا لثانية. رفعت يدها، ولما أذن هال لها بالكلام وقفت. لاحظت القلق في

عيني لوك وأدركت أنه لا يريد منها أن تتدخل وتورط نفسها. ولكن، عدم أنانيته، حفزها أكثر للتصدي لمارغو.

«لقد أصبح معروفاً للجميع أن السيد هاستينغز باع الكثير من ممتلكاته كي يسدد ديونه قبل أن يمثل أمام المحكمة، ولهذا السبب أطلق سراحه قبل أن ينهي مدة عقوبته.»

أخذت نفساً ثم تابعت: «لا حاجة بي لتذكير أي واحد منكم، أننا هنا في اجتماع ولسنا في محكمة قانونية. فقد واجه السيد هاستينغز العدالة ونال جزاءه وراء القضبان. وأعتقد أن الجميع يعرفون أنني كنت أحد أعضاء هيئة المحلّفين الذين أدانوه.»

أومأ الجميع موافقين.

«سأله القاضي، قبل أن يصدر حكمه، في ما إذا كان يرغب بقول أي شيء.» استرقت النظر إلى لوك ورأته يحدق. إليها بطريقة لم تعهدها من قبل. «قال السيد هاستينغز للقاضي بصوت ثابت وهادىء، إنه ليس مذنباً ومع الوقت سيبرهن عن ذلك.»

علت همهمات التعجب والاستفهام من الكثيرين ولكنها لم تع إلا وجود لوك.

«وبصراحة، حللت مكان بول بزيارة سجن رد بلوف في أيلول/سبتمبر الماضي حيث قابلت السيد هاستينغز لأول مرة ولو قام أي منكم بزيارة السجن لأدرك على الفور، أنه الجحيم على الأرض. يستطيع لوكاس هاستينغز أن يخبركم كل شيء عن السجون. إن أعتبره الآخرون بريئاً أم مذنباً، هذا الرجل دفع ثمناً، أرجو من اللّه، أن لا يضطر أي واحد منكم لأن يدفعه. وأريد أن أسألكم، من منا انسان كامل كي يحق له أن يحكم

ويدين هذا الرجل مرة ثانية؟ ولأي جريمة؟ هل نبدأ بالقاء التهم؟ أولاً، إنه مذنب لأنه التجأ إلى الكنيسة في الأسبوع الأول بعد اطلاق سراحه وطلب أن يعطى عمل تطوعي. ثانياً، إنه مذنب لأنه أحسن تدريب فريقنا للكرة الطائرة بصورة، أصبح لنا معها فرصة للحصول على بطولة الدورة. المرة الوحيدة التي تغيب فيها عن التدريب، عندما وقع له حادث خلال رحلة طيران، بحكم عمله. أُجبر على الهبوط الاضطراري، وكاد أن يقتل. ثم سار لمسافة عشرين ميلاً على قدميه عبر الغابات حتى وصل إلى حيث يستطيع طلب المساعدة.»

فغر الجميع أفواههم وهمهموا ببضعة تعليقات. «إنه مذنب لأنه صادف كاسي، الذي كان بحاجة إلى يد حازمة منذ وقت طويل. دعوني أتذكر، هل من تهم أخرى؟ أهه، إنه مذنب لأنه تبرع بمحتويات غرفة كاملة من منزله، لهيرب ويلسون... خاصة وأن نزهة للشبيبة هي الأكثر إثارة في تاريخ الأبرشية، وكانت على حسابه الخاص ومن وقته الخاص... كم واحد منكم يستطيع توفير كل هذا الوقت بعد أن يكون قد بقي ستة أشهر من دون عمل؟»

علا ضجيج المجتمعين وغرقت القاعة في فوضى، مما اضطر أندريا لأن ترفع صوتها كي تسمع. «أطلب، بصفتي راعية مشاركة لهذه الكنيسة أن نصوت على أهلية السيد هاستينغز في البقاء معنا. أريد أن أضيف أن الالتماس المقدم، كما جاء، هو معيب وتشهيري. لدى السيد هاستينغز الحق الدستوري في توكيل محام واقامة دعوى قانونية ضد من ساق إليه هذه التهم.»

جلست أندريا وقد تلاشى غضبها، ولدهشتها، شاهدت

مارغو تهرع إلى مغادرة القاعة، في صورة درامتيكية أثارت عطف أندريا برغم كل ما حدث. وقد لاحظت أن مايبل لم تلحق بها.

«هل يريد... يريد أحد إضافة أي شيء؟» سأل هال، الذي كان من الواضح أنه تأثر كثيراً بما قالته أندريا. لم يجب أحد وكان الصمت مخيماً. «يرفع يده، كل من يوافق على بقاء السيد لوكاس هاستينغز في عمله مع شبيبة أبرشيتنا.»

شعرت أندريا بغصة في حلقها، عندما شاهدت عدد الأيدي المرتفعة.

«ليرفع يده من هو ضد؟»

«أوه، لأجل السماء، يا هال!» صرخت مايبل مؤنبة. وانفجرت أندريا بالضحك لسخافة الحركة. وقف، في هذه اللحظة، أعضاء المجلس... بمن فيهم مايبل... وأخذوا بمصافحة لوك وربتوا على كتفه، مؤكدين له، بأنه لم يكن لهم ضلع في الالتماس الذي قدم. وظهر بوضوح على تعابيره أنه تأثر جداً بعواطفهم المتدفقة وروح الصداقة التي أظهروها.

اقترب بول منها وأمسك بيديها. «أندريا، أندريا، لقد كنت رائعة اليوم. وفي الحقيقة، أنا فخور لأنني حرضتك على هذا العمل.»

عبست على الفور. «هل أنت بخير، يا بول؟»

ضحك وهز رأسه. «لم أكن بحالة أفضل قبلاً. لو لم يخترك اللّه لرعاية هذه الكنيسة، لكنت قلت إن الفرصة فاتتك كي تصبحي محامية.»

«وأنا أقول، لولا أن اللّه اختارك كي ترشدني إلى طريق خدمة الكنيسة، لكنت فوّت الفرصة بأن تصبح طبيباً نفسياً.»

شد على يديها، وترقرقت الدموع في عينيه. «إننا نشكل فريقاً جيداً، أليس كذلك؟»

«والأفضل.» علقت بصوت مرتجف. «أنا قلقة يا بول على مارغو.»

«لقد سرقت هذه الكلمات من فمي قبل أن أقولها، سأذهب لزيارتها في البيت وأتحدث معها.»

«أريد أن أفعل ذلك أيضاً، ولكني أعرف أنها لن ترحب بزيارتي. سأكتب لها رسالة بعد بضعة أيام، من المحتمل أن تمزقها، ولكن يجب أن أحاول. أرجو أن تنجح مع مارغو. بول... أشكرك ثانية، من أعماق قلبي.»

وقعت أندريا في حيرة عندما غادر بول القاعة إذ أرادت أن تتحدث مع لوك ولكنها لاحظت أنه انخرط في الحديث مع بضعة رجال. أدركت أن الحديث قد يطول عدة دقائق، ففضلت الإنسحاب إلى مكتبها لتأخذ سترتها وحقيبتها.

ولكن ما أن وضعت قدماً خارج باب القاعة حتى أمسكها من ذراعها. وقفز قلبها.

«لاتذهبي بهذه السرعة.» همس لها. «أنا أعرف أن مجموعة التعاون ستجتمع عندك الليلة، ولكنك ستلغين هذا الاجتماع، لأنني وضعت ترتيبات أخرى، لنا معاً.»

تلفظ بالكلمات التي طالما تمنت أن تسمعها رفعت وجهها الذي اعتلاه الاحمرار، نحوه، فيما أخذت عيناها تتفحصان بهدوء تعابير وجهه، وتقيمان أي تبدل فيه منذ أن رأته لآخر مرة. لا بد أن لوك لاحظ حماسها الباهر، فلا شيء يفوته ملاحظته. «لقد ذكرت، خلال قداس الصباح، أنني أجلت

الاجتماع حتى الاسبوع القادم. والنتيجة، أنا ملك يديك. ولكن دعني أذهب والتقط حقيبتي.»

أحست من انقباض يده على ذراعها، أنه لم يكن يتوقع تصرفها هذا. وعندما شعر أنها لم تقاوم أرخى قبضته عنها وسار واياها المسافة القصيرة إلى مكتبها.

أفلتها من قبضته كي تستطيع التقاط حقيبتها من الدرج الأسفل لطاولة مكتبها. ثم انتصبت ونظرت إليه ملياً. وبما أن الصمت خيم بينهما عندما دخلا المكتب، وعت أندريا فجأة، الهدوء غير المألوف الذي غمرهما.

دفعتها غريزة عمياء لتقول: «أنا سعيدة لرؤيتك ثانية يا لوك.»

قال شيئاً لم تلتقطه أذناها تماماً، ورأته يمرر يده في شعره ويعبث بخصلاته. كان التوتر بينهما ملجماً، وعادت للحياة كل أحاسيسها ومشاعرها نحوه. «هل أنت مستعدة.» قال بنبرة مشدودة، فيما يمسك لها السترة كي ترتديها.

«أجل.» همست أندريا.

«هيا نذهب.» خرج صوته، وكأن تنفسه يكاد أن ينقطع.

عبث الهواء البارد بشعرها فيما كان يسير بها نحو سيارته. ساعدها لوك في ركوب السيارة وشعرت بالارتباك عندما تجعدت ملابسها. ولما لاحظ لوك ذلك، اقفل الباب عليها.

فيما كان يدور حول السيارة ليأخذ جانب القيادة، أخذ تنفسها بالارتجاف. كان داخل السيارة مفعماً برائحة الجلد الفاخر... وبرائحة لوك. اتخذ مقعده وأغلق الباب، ولكنه لم يبدأ بتشغيل المحرك.

أدار رأسه نحوها وقال برزانة: «هل أقوم بالعمل المناسب

وأتركك تذهبين إلى البيت بسيارتك، أم آخذك في نزهة للتمتع بمنظر الغروب؟»

الجواب على السؤال كان سهلاً. شعرت قليلاً بالتململ وردت ببساطة: «منظر الغروب.»

شد قبضتيه على مقود السيارة حتى أبيضتا. «هل تدركين معنى ما تقولين؟»

تكلمت بهدوء: «إذا غيرت رأيك عن رغبتك بالبقاء معي، فقل ذلك بصراحة.»

«ما نفعله يا أندريا، ليس بلعبة.» وضع يده عليها وكأنه يؤكد قوله. «إذا أتيت معي الآن، فلن يكون هناك من عودة بعدها.»

لم تكن أندريا ترغب بالعودة. ما تريده هو الاستمرار باضطراد. مع لوك. زوجة له. وكانت متأكدة في أعماق قلبها، من أن هذا ما يريده هو. أيضاً، حتى ولو كانت راعية كنيسة.

«أتطلب مني أن أذهب في إجازة معك؟ إذا كان هذا ما تطلب، فالجواب، نعم. فما عدا فترة محاكمتك، لم آخذ يوماً إجازة، منذ سنتين.»

سمعت صوت تنفسه الشديد، قبل أن يقول: «إن فكرة ذهابي معك إلى مكان ما، كانت في خاطري منذ الأيام الأولى للمحاكمة! ولكن لن آخذك إلى مكان، قبل أن تنتهي بطولة الكرة الطائرة، وأرتب بعض الأمور الشخصية.»

كان إقراره الايجابي أكثر مما كانت تتمنى. «إذاً ما الذي تطلبه الآن؟»

رفع يده عنها. «أنت تعرفين جيداً، أريدك أن تبقي معي حتى يحين موعد ذهابي إلى العمل، غداً، في الصباح.»

أشاحت عينيها. «أنا أريد ذلك أيضاً، ولكنه غير ممكن. أنا... أنا أحتاج إلى أكثر منذ ذلك في علاقة عاطفية. وأنت تعرف أني لا أستطيع أن أوافق على علاقة حسية خارج الزواج.» توقفت قليلاً. «بعد إعادة النظر، ربما من الأفضل أن أذهب إلى البيت في سيارتي.»

أخذت تفتح باب السيارة من دون أن تنتظر جواباً، ولكنه أمسك بمعصمها. «أعدك بأن آخذك إلى البيت عند منتصف الليل. هل يطمئنك ذلك؟» سألها غاضباً.

«أنا... أنا لا أعت...»

«لا تقلقي!»

تلاشى التشنج، في ما لو كان موجوداً، بينهما. بقيا صامتين وهو ينطلق بالسيارة باتجاه منزله. أملت أندريا أن يكون استنتاجها صحيحاً وأنه يريدها معه لأن مشاعره نحوها هي بعمق والتزام مشاعرها نحوه.

«هل أمضيت الأسبوع الماضي في نيويورك؟» استفهمت منه، عندما دخلا المنزل وشاهدت حقائبه في الردهة، وعليها ملصقات مدينة نيويورك.

«هذا صحيح.» قال من دون أن ينظر باتجاهها.

كان واضحاً، أنه ليست عنده النية في اخبارها عما يتعلق بهذه الرحلة. رمقته بعينين متفحصتين، مصممة على أن لا تفقد رباطة جأشها. «تملقني يا لوك الليلة ودعني أقوم بدور سيدة البيت. لم يكن عندك المرة الأخيرة إلا شرائح ديك الحبش. أريد أن أحضر لنا وجبة شهية ورائعة. هل تمانع في ذهابك إلى مخزن البقالة وشراء بعض الحاجيات؟ سأضع لائحة بما يلزم.»

أخرجت دفتراً صغيراً، تحمله دائماً، من حقيبتها ودونت لوازم سلطة قيصر وحساء الكركند وحلوى الشوكولا المفضلة عندها، فيما وقف لوك يراقبها.

«خذ.» ناولته الورقة. «أنا أفترض وجود الطحين والزبدة والبيض... أعني أساسيات المطبخ؟» عندما أومأ بالإيجاب قالت: «سأتركك تقرر إضافة أي شيء على اللائحة.»

تفحص اللائحة، ثم نظر إليها مقيماً. «توجد قارورة شراب موضوعة فوق الميكرويف، أحبه مثلجاً.»

«وأنا كذلك.»

أرجع رأسه للوراء وقال: «اعتقدتك لا تشربين.»

«عندما أخرج لعشاء خاص، أتمتع أحياناً بشرب القليل مع الوجبة. ولا يحدث ذلك غالباً في هذه الأيام، لأني أوفر كل قرش أجنيه كي أشتري منزلاً صغيراً لي.»

«وما هو راتب راعية أبرشية في الوقت الحاضر؟»

«ليس كافياً.» ضحكت بلطف وأضافت: «لو كنت مهتمة بجبمع المال، لكان هذا العمل آخر ما أفكر به.»

تحولت تعابيره إلى الحدة. «وأنت تحسنين العمل. أنت حسنة إلى درجة أنك لجمت كل الذين حضروا اجتماع بعد الظهر. لو طلبت منهم أن يتبعوك إلى حافة هاوية، لفعلوا ذلك راضين وألقوا بأنفسهم، الواحد تلو الآخر، نزولاً عند رغبتك، وباركوا لك وهم في طريقهم إلى القاع.»

انفجرت أندريا بضحكة مدوية، ثم توقفت فجأة عندما لاحظت أنه اقترب منها.

«لقد كنت رائعة.» همس ووضع يديه على ذراعيها وكأنه فقد السيطرة على نفسه.

www.elitecity.com

مالت نحوه وقالت: «لم أكن لأسمح لمارغو أن تتخلص من أفضل مدرب حصلنا عليه من دون مقاومة.»

«السبب الوحيد الذي جعلني أحضر هذا الاجتماع، هو حمايتك. لقد اكتشفت أنك ستقومين بدور يجعل أي منتج مسرحي يسترد أمواله في لمح بصر. ولكني، في الحقيقة، رثيت لحال مارغو سلون.»

تلاشت ابتسامتها. «وأنا كذلك، فالاحراج الذي أصاب مارغو، لم يعجبني.»

«كان يجب أن نوقفها عند حدها يا أندريا. على الأقل، من أجل مصلحتها، إذا لم يكن من أجل أمر آخر.»

«أنا أعرف ذلك.»

اقتربا من بعضهما بعضاً وتعانقا وسمعته يهمس: «اعتبري البيت بيتك، لن يطول غيابي.»

وقفت في مكانها عدة دقائق وهي تتلمس شفتيها، تحاول أن تتمالك نفسها. استحوذ لوك عليها قبلاً، أما الآن فقد أصبحت مدمنة على وجوده. سيمضيان هذه الأمسية معاً، وشعرت أنها تكاد أن تطير من الفرح.

بحثت عن زجاجة الشراب ووضعتها في الثلاجة. ثم بحثت عما يمكن أن تصنع منه عجينة الكركند. من الأفضل أن تجهزها قبل عودة لوك.

ربطت فوطة مطبخ كبيرة حول وسطها، وأخذت في رق العجينة. وهذا ما يجعل جرس الهاتف يرن في عز الحشرة. أسرعت بغسل يديها والتقطت سماعة الهاتف المعلق على حائط المطبخ. «ألو؟» قالت قبل أن تلاحظ أنه كان من الأفضل أن تترك الهاتف يرن من دون أن تجيب. ولكن الأوان فات. تمنت أن

يكون الطالب، كائناً من كان، ليست له أي علاقة بالأبرشية. لم تكن تشعر بالخجل لوجودها في منزل لوك، ولكنها تكره أن تصبح محط أحاديث الآخرين وثرثرتهم.

«إيرين؟» أتاها صوت رجل من الطرف الآخر. «تباً، أنا آسف لأنني اتصلت وقاطعت مصالحتك مع لوك. لا عجب أنه لم يتصل بي حتى الآن. لسوء الحظ، يجب أن أتكلم معه الآن. الأمر لا يحتمل التأخير حتى الصباح. هل تنادينه لي؟»

عندما استطاعت أندريا الكلام، قالت: «إنه ليس هنا، ولكنه سيعود قريباً. أعطني إسمك ورقم هاتفك، وسأخبره كي يتصل بك عندما يعود.»

«تباً، أنت لست إيرين، أنا آسف. اسمعي أخبريه أن تشاك اتصل به وأنا في طريقي لعندكما.» وسمعت إقفال السماعة.

وضعت أندريا السماعة في مكانها وكأنها مبرمجة آلياً، وتبخرت البهجة التي كانت تشعر بها. وشعرت بأن خطتها الصغيرة بأن تقوم بدور سيدة البيت وتعطي لوك فكرة عما هي عليه الحياة الزوجية، انفجرت في وجهها.

عندما دخل المطبخ بعد عدة دقائق، يحمل بين يديه كيسين من أغراض البقالة، لم تكن قد أفاقت من صدمتها. افترضت أندريا آلياً، لأن لوك أصبح كل عالمها، أنه، عندما لا يكونان معاً، فإن أفكاره تمتلىء بصورها بمعزل عن أي امرأة أخرى.

أرادت، قبل أن تنطق بالكلمات التي ستحطم علاقتهما العاطفية القصيرة، أن تستمر لبضع دقائق أخرى بالقيام بدور الزوجة التي تنتظر زوجها ليأتي إليها في نهاية اليوم.

لن يبدو أبداً أي زوج بهذه الوسامة. خلع عنه السترة وربطة

العنق، فك أزرار الياقة وطوى كمي قميصه للأعلى، ثم تقدم نحوها ونظرة شيطانية تلمع في عينيه، وتحدق إلى قدميها والفوطة المربوطة إلى وسطها وإلى وجهها الذي يعلوه الاحمرار.

«هل عندك فكرة كم تبدين جذابة وأنت مرتدية هذه الفوطة؟» أخذ قلبها بالخفقان عندما اقترب منها. «مما يجعلني أرغب في معانقتك.» وضع يديه حولها فقفز قلبها وتدفق الدم ماراً في عروقها.

ثم عادت إلى وعيها. ولاحظت، أنه في وقت ما، في السابق. ربما قال وفعل شيئاً مشابهاً مع إيرين. وعانقها بالطريقة ذاتها. لقد أنكر لوك وجود أي علاقات جدية له مع النساء في ما مضى، عندما سألته أندريا عن ذلك من قبل. ولكن، على الأرجح لم يكن معتاداً على اقامة علاقات مع امرأة لا تكون من هذه الفئة.

اعتقدت أندريا بسذاجة وغباء أن لوك يؤمن بالقيم التي تؤمن بها. حدث كل ذلك لأنها كانت تتوقع حصول معجزة... ولكنها على الأرجح، استنفدت حصتها من المعجزات، ربما أن الامتحان الأخير في حياتها، هو خسارتها للوك.

«لوك...» قفزت مبتعدة عنه، وهي تحاول أن لا تظهر أن جرح قلبها ينزف دماً. «بعد اعادة النظر، أخشى اننا لن نتناول العشاء. هنالك مخابرة مستعجلة لك من شخص يدعى تشاك.»

تجهمت تعابير لوك عند سماعة الاسم، وانهال بالشتائم. «ماذا قال؟ لقد قال شيئاً غيّر مزاجك تماماً! ما الخطب؟»

«لقد قال إنه بطريقة إلى هنا، وأعتقد أنه سيصل خلال ثوانٍ.»

عبس لوك. «ماذا قال أيضاً وجعلك تتغيرين على هذه الصورة؟»

ستتورط الآن! إذا نكرت إسم إيرين، سيعرف لوك أن انسحابها جاء نتيجة غيرة عمياء. وهذا الضعف في داخلها كان أمراً تريد الاحتفاظ به سراً عنه.

«لا شيء، ما عدا أنه يريد مقابلتك فوراً.»

«لا أصدق ذلك.»

«أعتقد أنك كنت صدقت لو سمعت نبرة التلهف في صوته. لقد ذكر أنه أمر لا يحتمل التأجيل إلى الصباح. ما رأيك لو تأخذني إلى بيتي أولاً، كي يخلو لكما الجو.»

كانت عيناه تحترقان من شدة الغضب. «هل المقصود من هذه الإشارة أنا أم أنت؟ كلانا نعرف، أنك تخافين من البقاء بمفردك معي، وتشعرين الآن بالراحة لأن مجيء تشاك وفر لك خروجاً مبكراً من اللعبة!»

عندما قرع جرس الباب، نظر لوك حوله وبدا كأنه الانسان الوحيد الذي بقي على قيد الحياة بعد زلزال مدمر. ولكن هذا التعبير اختفى قبل أن تستطيع أندريا تحريك جفنها.

استدار لوك نحوها. «أنت لست ذاهبة إلى أي مكان.» قال بنبرة متوعدة. ثم اندفع خارج المطبخ ليفتح الباب وهو ما زال ممسكاً بفوطة المطبخ.

وقفت أندريا في مكانها ترتجف. فغيرتها العمياء قد أيقظت الشيطان في داخل لوكاس هاستينغز.

الفصل التاسع

عاد لوك إلى المطبخ ورمى الفوطة، فيما كانت أندريا توضب البقالة في الثلاجة والخزائن. رفعت عينيها عما كانت تفعله ونظرت إليه ورأت نظرة غريبة في عينيه، بدا أن غضبه قد زال، ولكنها لم تستطع قراءة التعابير فيهما أكثر مما تستطيع قراءة اللغة الهيروغليفية الفرعونية.

«لقد كنت على حق يا أندريا.» قال لها بلطف: «حمل تشاك لي أمراً في غاية الأهمية، وأخشى أن اجتماعنا سيستغرق الليل بطوله. سأقلك إلى الكنيسة لتأخذي سيارتك.»

انتظر حتى انتعلت حذاءها، من دون أن يضيف أي تفسير. ثم رافقها عبر الباب الخلفي إلى سيارته. انطلقا صامتين طوال رحلة العودة. بدا صعب المنال وبعيداً عنها. كان الألم يتفجر في داخلها عندما تسلقت سيارتها واتجهت نحو منزلها، وهو يجد في أثرها.

لأسباب خاصة به، لم يشأ تقديمها إلى زائره. وهذا ما كانت تلاحظه في علاقتها معه، لقد أبقاها بعيدة عن حياته الخاصة. ولم يخبرها قط، أنه يحبها. إذاً، فهي تخدع نفسها عندما تعتقد أنها ستصبح ذات أهمية في حياته إلى درجة أن تصير زوجة له.

ما أن وصلت إلى شقتها حتى ترجلا من سيارتيهما وسار معها إلى باب الشقة. كانت أندريا قد أخرجت مفاتيحها، وفتحت الباب الأمامي. كان الصمت المخيم باستمرار في ما

بينهما مؤلماً إلى درجة لم تعد تفكر معها بغير أن تتخلص منه بأسرع ما يمكن، وأن تبقى بعيدة...

«عمت مساءً.» كان هذا كل ما استطاعت نطقه قبل أن تهرع إلى داخل شقتها. وشكرت ربها على أن الشقة تقع في الطابق الأرضي! صدمت عندما أمسك لوك بها من وسطها ورفعها بقوة عن الأرض، بحيث أصبحت تنظر إلى وجهه من الأعلى إلى الأسفل.

أمسكت أندريا بأعلى ذراعيه كي توازن نفسها، وهي تلهث. «لوك!» فتحت فمها منذهلة. «ما الذي تفعله؟ أنزلني من فضلك، إن تشاك بانتظارك...»

«أخبرني تشاك أنه ناداك إيرين خطأً. هل هذا صحيح؟» شعرت أندريا أن وجهها يلتهب. «أهذا صحيح؟» هزها برقة وسقطت من قدمها فردة الحذاء.

«لا يهم إن فعل ذلك أم لا، أرجوك دعني لحالي.»

أصبح، ما استطاعت رؤيته من وجهه من خلال شعرها المتناثر على وجهها، عدائياً. «لن أنزلك إلا عندما أحصل على أجوبة.»

«حسناً، أجل، لقد ذكر لي اسمها.»

«وأنت كالعادة وضعت اثنين واثنين معاً واستنتجت أمراً سلبياً. هذه فرصتك الآن لتسالميني عن إيرين.»

«أنا لست فضولية إلى درجة أن أسألك.»

«ستذهبين للجحيم لأنك تكذبين.»

«لوك!» صرخت ثانية، مستاءة. «أنزلني.»

«أبداً.»

خفق قلبها مثل طير خائف. «هل هي امرأة عرفتها قبل دخولك السجن؟»

رفّت عيناه. «هذا صحيح. ماذا تريدين أن تعرفي أيضاً عنها؟»

حاولت أندريا التملص من قبضته دون جدوى. «من الطريقة التي تكلم بها تشاك، أستطيع أن أخمن أن علاقتكما... حميمة.»

«لقد أخطأت في التخمين.» زمجر. «إنها أرملة الطيار التي أخبرتك عنها، والتي حضرت اليوم الأخير للمحاكمة. وما فتئت تتصل بي وتحاول مقابلتي منذ أن أطلق سراحي. ولأنها سهلة المنال، يظن تشاك أنني أستغل هذا الوضع، ولكنه على خطأ هل تصدقين ذلك؟»

«لا يعرف الحقيقة إلا الله وأنت.» أجابت موارية، ولكن قلبها أخذ يعتصر.

«هل تريدين إخباري أن المرأة نفسها التي آمنت ببراءتي كل الوقت، لا تستطيع الآن أن تستشف الحقيقة من خلال غيرتها؟»

«الغيرة؟» كادت أن تختنق وهي تنطق بهذه الكلمة.

«إذا انطبق الأمر...»

«أنا لا أعترف بأي شيء!»

«هذا يلائمني، أستطيع ابقاءك على هذا الوضع، طول الليل وسوف أتمتع بمنظرك معلقة.»

كانت أندريا تخسر معركة الشد والربط بسرعة. «حسناً، بما تريديني أن أعترف؟»

«الحقيقة البسيطة، تكفي.»

«ما سيكون موقفك عندما تظن أنني على علاقة مع رجل آخر ومعك في آن؟» سألته يائسة.

«هل أنت كذلك؟»

«لوك!»

«كما ترين، إن الأمر يتعلق بالثقة.»

«من السهل عليك أن تثق بي، لأنك تعرف أين أكون، وماذا أفعل، ومن أقابل، في كل دقيقة من الليل والنهار.» قالت له. «فيما لا أعرف شيئاً عنك.»

«هل هذه إشارة إلى أنك ترغبين بمعرفة المزيد؟»

«لو سمعت عن إيرين قبل الآن، لربما كنت غير معلقة في الهواء في هذه اللحظة.»

«أنا أتذكر بوضوح أنني أخبرتك كل شيء عنها.»

«ولكنك لم تذكر اسمها. وكان محتملاً أن تكون أي امرأة أخرى من بين عديدات.»

«إذاً أنت الآن تضفين على صفة زير نساء. والنساء زرافات ووحدانا يدخلن ويخرجن من بيتي. من دون شك، لقد خرجت غيرتك عن الحد المعقول.»

«لا داعي لتصنع من الحبة قبة، فأنا واعية لأخطائي.» منحتها، العاطفة الواضحة في ضحكته الخافتة، أملاً جديداً. «حسناً يا أندريا، ماذا تريدين أن تسألي أيضاً؟ هذه فرصتك.»

«من هو تشاك؟»

«هل تعنين، أنك لم تميزي صوته؟»

«هل هو أحد الرجال الذين قابلتهم في المطار تلك الليلة؟»

«خمني مرة ثانية.»

«لا أستطيع.» أخذ وضعها، معلقة في الهواء، يضايقها. «لا أعرف أي من معارفك.»

أنزلها حتى لامست قدماها الأرض، وأبقى ذراعاً ملتفة حول

خصرها، يشدها إليه، بينما راح باليد الآخر يزيح خصلات الشعر المنسدلة على وجهها. «بلى، أنت تعرفين.» همس في أذنها. «ستكتشفين ذلك في الثالثة صباحاً. يجب أن أذهب الآن. تشاك ليس بالرجل الصبور، لو عانقتك بالطريقة التي تتوسلين لها، فعلى الأرجح لن أستطيع العودة إلى البيت، الليلة.»

«أنا أتوسل...؟» ردت عليه ولكن عندما أفلتها، اندفعت إلى الأمام وكادت أن تقع، لأنها كانت مستندة إليه بكل وزنها.

تقدم منها ولثمها على جبينها. «أيتها الراعية، أنت ترغبين بالبدء من حيث توقفنا بمقدار ما أرغب أنا. ولكن على كل منا أن يعاني حتى بدء موعد التدريب في الغد.»

غادر بسرعة قبل أن تتمكن من اخباره بأنها ستشرف على مراسم زواج بوتي، ابنة رادي أورمسباي، بعد ظهر الغد، ثم يلحقون المراسم بعشاء واستقبال في فندق يقع في الوسط التجاري لمدينة البوكركي، لن تتمكن أندريا من حضور التدريب، وستغض النظر عن كل شيء آخر.

لم تستطع أندريا حل لغز هوية تشاك إلا في اليوم التالي وقبل البدء بمراسم زواج بوتي. أدركت أن إسم تشاك هو الإسم المختصر لتشارلز ريتش، محامي لوك. الرجل ذي الشعر الأحمر الذي دافع ببطولة عن موكله في المحاكمة.

شيء ما ذو أهمية قصوى كان على وشك الحدوث. ولم تكن مصادفة أن يتصل تشاك بالهاتف فور عودة لوك من نيويورك. تمنت أندريا أكثر من أي شيء في العالم، أن تتخلى عن واجباتها وتهرع إلى الملعب لتقابل لوك وتطلب منه أن يوضح لها كل ما يجري.

اكتفت بدلاً من ذلك باحتواء قلقها وحضّرت نفسها للقيام بما تعتبره أقدس واجباتها على الأرض عندما انتهت من مراسم الزواج، تركت أندريا القاعة وذهبت مباشرة إلى مكتبها لتغيير ملابسها. كان مات يقف خارجاً بانتظارها.

دعته للدخول ثم أغلقت الباب. «هيا أخبرني ما الخطب؟ لماذا هذا التجهم؟» سألته فيما كانت تخلع عنها رداء الكهنوت. «كنت أتوقع أن أراك مبتسماً ولم يبق على بدء الدورة إلا يومان.»

«إنه كاسي، لم يأت إلى التدريب بعد ظهر اليوم. ذهب لوك إلى منزله ليطمئن عن عدم وجود مشكلة. ولكني قابلت، منذ دقائق، أحد جيرانهم وقال لي إن والده قد عاد إلى المدينة هذا الصباح.»

رمقت أندريا مات باهتمام. «لم يحظى كاسي بزيارة من والده، منذ سنة. وأستطيع أن أتخيل كم ابتهج لرؤيته.»

«أيووووه.» خبط مات قبضته على راحة يده الأخرى. «المشكلة، هي أن والده ما أن يأتي حتى يغادر ولا يمكث أكثر من يوم واحد، وهذا ما يجعل كاسي متضايق جداً. هذه الزيارة ستخرجه، حتماً، من اللعب مع الفريق.»

وافقت أندريا في سرها على ما قاله مات. كاسي وريتشي هما أفضل لاعبين في الفريق. إذا تغيب كاسي ليلة واحدة عن التدرب، يتأثر الفريق بكامله، ولم ترغب بالتفكير في نتيجة عدم اشتراكه في المباريات. ولكن، على التأكيد، شؤون العائلة هي أهم بكثير، ولن يناقش أحد حاجة كاسي لتمضية أطول وقت ممكن مع والده.

ما كانت تعرفه هو، أن والد كاسي قد طلق أمه وانتقل للعيش

في ولاية واشنطن. جاهد كاسي طويلاً كي لا يتأثر لغياب والده. وبدا أن هذا الرجل يفتقد الغريزة الأبوية، وتظاهر كاسي بعدم الاهتمام لذلك. ولكن أندريا فهمت، أكثر من أي شخص الدوافع لشوق كاسي إلى والده وإلى حنوه. وشعرت بقلبها ينفطر لأجله.

«أنا سعيدة لأن لوك ذهب إلى منزله، إذا كان كاسي يعاني من أي أمر، فلوك هو الشخص المناسب لمعالجة ذلك.»

حدق مات إليها بنظرة ثاقبة. «أنت واقعة في حبه، أليس كذلك؟»

لم يكن باستطاعتها أن تكذب على مات. «نعم، أحبه كثيراً.»

«هل ستتزوجينه؟»

«مات!»

رفع مات كتفيه. «هل قلت شيئاً خطأ؟ الجميع يراهنون على أنكما ستتزوجان قبل نهاية السنة.»

أحنت أندريا رأسها. هي ومات كانا مقربين جداً من بعضهما البعض مما أوجب الصراحة التامة بينهما. وقد فكرت مطولاً منذ الليلة الماضية. «هنالك جانبان لكل حقيقة يا مات. لم يحدث أن الرجل طلب يد السيدة من جهة، ومن جهة أخرى لوك ليس عضواً في كنيستنا.»

شمخ مات برأسه. «ألا يستطيع رعاة الأبرشية الزواج من خارج الكنيسة؟»

«أجل، يستطيعون. ولكن التأقلم في الزواج هو أمر صعب في أفضل حالاته. عندما يبدأ الزوجان حياة جديدة وهما مختلفان تماماً في العقلية والتفكير، يصبح نجاح الزواج أكثر صعوبة. أنا راعية، وتكرست لهذه الأبرشية. وهذا يحتاج إلى

رجل قوي الشخصية كي يتأقلم مع هذا الواقع من حياتي.»

«لوك، على ما يبدو يستطيع تدبر أموره بشكل حسن.» قال مات ضاحكاً.

ألقت عليه ابتسامة مشوبة بالحزن. «والسبب في ذلك، أنه عندما أطلق سراحه من السجن، كان رجلاً دون عقال، وقد فقد روابطه ويحتاج إلى الانتماء إلى أي قاعدة اجتماعية، إلى أن يعيد التماسك إلى حياته. وهذا ما يفعله الآن.» مغطت نبرة صوتها فيما اجتاحت مخيلتها صورة اجتماعه مع تشاك ريتش.

«إذاً، أنت تعتقدين أنه سيرحل بعيداً في أحد الأيام؟» قال بصوت تشوبه نبرة الشعور بالخطر.

أومأت أندريا برأسها ببطء. لم يعد الوقت وقت خداع النفس. «أنا متأكدة من ذلك.»

«ماذا ستفعلين عندما يرحل؟»

لم تستطع الإجابة على هذا السؤال.

«مات، إذا عرفت المزيد عن وضع كاسي، خابرني في ما بعد هذه الليلة، إلى البيت. سأكون حينها قد عدت من حضور حفل الاستقبال الذي تقيمه بوتي بمناسبة زفافها.»

«أجل، سأفعل.»

«سأراك غداً. وقت التدريب، إذا لم يتسن لك الاتصال بي الليلة. غداً سيكون يوم التدريب الأخير.»

«ولهذا لن نقوم بأي تمارين رياضية. أخبرنا لوك أن الأمر المهم هو أن نبحث في استراتجية وخطط اللعب ونفكر بصورة إيجابية.»

«لقد كان قائد فريق كرة الطائرة عندما كان يتعلم في

www.Rewity.com

الجامعة. وأعتقد أن لديه عدداً من الخطط يخبئها حتى تحين الحاجة إليها، في الدقائق الأخيرة.»

وقف مات أمام الباب. «أتمنى أن يبقى في الأبرشية بصورة دائمة، فلم يحدث أننا حصلنا في ما مضى على قائد يمكننا مقارنته بلوك.»

«أنا أوافق على هذا الكلام.» تمتمت أندريا فيما عادت بأفكارها إلى اليوم الأول لمحاكمته، حيث كونت انطباعاً عنه بأنه رجل فريد من نوعه. هذا الانطباع الذي غير مجرى حياتها إلى الأبد.

«أندي؟» همس مات.

نظرت إليه ورأت نظرة التعاطف تلمع في عينيه.

«أشعر بالأسف، لأن الأمور بينك وبين لوك لا تجري على ما يرام، وأنا شخصياً أرى، أنكما مناسبان لبعضكما البعض تماماً.»

لم يكن عليه أن يقول ذلك. بكت بحرقة لحظة ترك مات غرفتها. ثم أصلحت من زينتها كي تستطيع الخروج والذهاب إلى حيث سيارتها متوقفة.

كان حفل الاستقبال والعشاء رائعين. جالت أندريا مع بول على المدعوين وتحادثا مع العروسين. مكثت أندريا الوقت الذي يمليه عليها التهذيب الاجتماعي، ولكنها كانت متلهفة للعودة إلى البيت، فربما يخابرها مات بالمزيد عن أخبار كاسي.

سمعت رنين الهاتف، ولم يكد يمضي على وصولها شقتها خمس دقائق. كان لوك الذي يخابر. شعرت بقلبها يتناثر في كل مكان.

«لقد افتقدناك خلال التمرين. أخبرني الأولاد أين كنت. يبدو أن حفل زواج هو مبرر كافٍ كي تستمري في الابتعاد عني.» قال لها بنبرة متعبة. «ولكن لا تفوتي تمرين الغد.»

غرقت في كرسي المطبخ وأسندت رأسها إلى الحائط يائسة. كانت من الغباء بحيث ظنت أنه يريد رؤيتها الليلة. «لقد أخبرني أيضاً مات بأنك تنوي إعطاءنا توجيهات شفهية. وأخبرني أيضاً أنه من المحتمل أن لا يلعب كاسي المباريات. هل عرفت المزيد عن وضعه مع والده؟»

قال بعد توقف قصير: «هل أنت مستعدة للسماع؟»

«سماع ماذا؟»

«سيعبر والده نهر كولورادو على عوامة، الأسبوع المقبل، ومن دون مقدمات، طلب من كاسي مرافقته.»

«أوه، يا لوك، هذا رائع؟»

«ما عدا أنه سيغادر في الصباح مما يعني، إذا اختار كاسي الذهاب معه فلن يستطيع اللعب في المباريات.»

نهضت عن الكرسي وهي ما تزال ممسكة بالسماعة بشدة وأخذت بالمراوحة. «ألا يستطيع والده الانتظار يوماً ثانياً؟»

«هل سبق وقابلت والد كاسي؟»

«لا.»

سمعته، عبر الهاتف، يتنهد باشمئزاز. «إما الآن أو أبداً، هذا كل ما في الأمر. إن كاسي يعاني الأمرين. من جهة يريد الذهاب مع والده، ومن جهة لا يريد أن يخذل الفريق.»

«كيف يمكن لوالده أن يفعل ذلك به؟»

«أخشى أن أقول، بسهولة فائقة، حسب ما ذكرت والدته، لأن هذا أسلوب حياته، يفعل ما يريد، متى يريد ولا يكترث بالنتائج.»

www.Beauty.com

«أتمنى أن يلهمنا الله ما يمكننا أن نفعله.»

«ربما نستطيع أمراً.» تمتم لوك. «وهذا يعتمد على قرار كاسي.»

«هل يوجد عندك شك في أنه لن يرافق والده في الرحلة؟»

«لا أعرف. لم يعد كاسي ولداً. وقد بدأ يتفهم عقلية والده. وهذه المرة، قد لا يختار أن يكون رهن إشارته.»

«يبدو أنك تتكلم من خلال خبرة شخصية.»

«أجل. في النهاية استطعت أن أتفهم جدي. وبرغم أنني أحببته، لم أتغاض عن دوافعه الأنانية التي صاغت أسلوب حياته، دوافع لم أكن لأرضى عنها أو اتبناها.»

كانت أندريا قد عرفت هذه الصفة في لوك. كان الشخص الأقل أنانية، في جميع الظروف، من بين من قابلتهم في حياتها. «أنا مقدرة تعاطفك معه يا لوك. إنه بحاجة ماسة لشخص مثلك، في الوقت الحاضر.»

«ما يحتاجه هو والد دائم.»

«لماذا لا تتقبل أبداً، الاطراء بلباقة؟» سألته مستاءة.

«ولماذا تهتمين للأمر كثيراً؟» بادلها بسرعة السؤال بسؤال جعلها تلجم عن الكلام.

«أنا... أنا أهتم لأي شخص يعمل الخير لمساعدة الآخرين، ثم يرفض الاعتراف بذلك. يجب على الناس أن يؤمنوا بأنفسهم أكثر.»

«هكذا تكلمت الأخت مايرز. ولكن أريد أن أسمع لماذا أندريا تهتم للأمر كثيراً»

شدت قبضتها أكثر على سماعة الهاتف الممسكة بها. «أنت تتكلم عني وكأنني شخصان مختلفان. أنا لست كذلك.»

«إذاً، أنت تعنين أنك تهتمين بي بقدر ما تهتمين بكل شخص من الآخرين في رعيتك.»

«طبعاً.»

«هل هذا يعني أن نيد ستيفنز، على سبيل المثال، قد عانقك مؤخراً؟»

حتى من خلال الهاتف، كان لدى لوك القدرة في أن يبعث الاحمرار في وجهها. «هذا ليس ظريفاً يا لوك.»

«هذا ما أوافقك عليه.» أجابها بنبرة رصينة غير متوقعة. «كلمة أخيرة... أريدك، بعد انتهاء المباريات، يوم الاربعاء، أن تأتي معي إلى المنزل.»

«ما طول المدة؟» أخيراً تجرأت على طرح السؤال الذي كان يعذبها. وتستطيع من محتوى إجابته، أن تقرر ما عليها أن تفعل. فأي علاقة مع لوك تقصر عن الزواج، ليست مقبولة بتاتاً. وإذا كان هذا ما يعرضه عليها... مجرد علاقة عابرة... فلن يتبقى لها إلا أن تنتقل إلى أبرشية جديدة والأفضل أن تقع في ولاية أخرى. لن تستطيع أن تتحمل البقاء معه في المدينة نفسها. سيكون ذلك مؤلماً للغاية.

توقف هنيهة ثم استطرد: «طول الليل.» قال، يمتحنها.

أغلق باب قلبها عندما تلفظ بهذه الكلمات، وأجبرها على التحول إلى ما كانت تخطط له منذ فترة.

«لوك، أنا سأغادر المدينة بعد المباريات.» أخذت تتكلم بسرعة عندما لم تسمع تعليقاً منه: «لقد أخبرتك يوم طرنا إلى سانتافي، أنني لم أحظ بإجازة منذ سنتين.»

«إذاً، سآتي معك.»

www.Rewity.com

لم يعد باستطاعة أندريا تحمل المزيد. «... لن يكون ذلك ممكناً.» جاهدت كي يأتي صوتها هادئاً.

«لماذا؟»

«لأن هذه الرحلة بالذات، هي مزيج من العمل والمتعة.»

«إلى ماذا ترمين، بهذه العبارة؟»

رفت عيناها عندما شعرت بغضبه. «أنا سأذهب إلى خلوة برفقة كهنة آخرين، أصدقائي من منطقة أوكلاند.»

«أين الخلوة؟»

«ألاسكا.»

«يا للعنة، وكم سيطول غيابك؟»

«يعتمد ذلك على تطور الأمور.»

«توقفي عن هذا التطير يا أندريا.» كادت أن تقول له، إنه لم يظهر لها غير التطير. ولكن، في هذه اللحظة، لن يحل شيئاً، الدخول في جدال لا طائل منه غير تعقيد الأمور.

«أنا أخطط للانتقال إلى أبرشية أخرى.»

قال بعد توقف بسيط: «اعتقدت أن هذه الأبرشية، هي بيتك.»

«مؤقتاً فقط، فالكنيسة تتوقع منا أن نبدل الأبرشيات من فترة إلى أخرى. هذا الأمر يجددنا، وينشط حماسنا. لقد خدمت فترة تكريسي هنا. وقد فسح لي المجال الآن، لأعمل بطاقة جديدة وحماس. وسوف أطلع على ذلك خلال رحلتي.»

«سيكون عملاً خارجاً عن المألوف، أن تهجري كل هؤلاء الأولاد بعد سنتين فقط، من دون أن ننسى بول وكل أعضاء الرعية الذين يحبونك.»

ساق السكين بخبرة وعمق في أحاسيسها، وشعرت أن قلبها

يدمي. يجب عليها الليلة أن تكتب رسالتي استقالة رسالة إلى مجلس الكنيسة ورسالة إلى بول...

«لما العجلة؟ ولماذا هذا الأسبوع؟» سألها وكأنه يطلق الرصاص من فمه.

«لأن هذه الفرصة بالذات لا تتكرر غالباً، ويجب أن أقرر في الحال.» كلما أسرعت كان أفضل. ولحسن الحظ، لم ينص عقدها مع الكنيسة على إعطاء إنذار بالترك أكثر من ثلاثين يوماً. إذا لم تستطع الحصول على لوك، فالأفضل أن تبدأ حياة جديدة في مكان آخر، بعيدة عن أي احتمال برؤيته ثانية.

«ما هي هذه الفرصة الخاصة التي يمكنها أن توفر لك السعادة بقدر ما هي متوفرة لك هنا في البوكركي؟»

«هذه فوق الماء.»

«عذراً، لم أفهم؟»

لعقت شفتيها كي ترطبهما. «أُنشئت الأبرشية التي أتحدث عنها على ظهر مركب وتجوب مناطق ألاسكا البعيدة المنعزلة حيث مخيمات صيادي الأسماك وقاطعي الخشب. لا يسع معظم العائلات المقيمة في هذه المخيمات الذهاب إلى المدينة إلا مرة في السنة. ولهذا تذهب الأبرشية إليهم. إنه أسلوب مبتكر للخدمة الدينية، وأنا معجبة بذلك.»

ما كادت تميز الصوت الذي رد عليها: «وهذه المخيمات، ممتلئة أيضاً بالرجال الذين ليست عندهم أي روابط أو تحفظات في القفز إلى الفراش مع أول امرأة تقابلهم. إنك تذهبين إلى مكان، إذا قورن رجاله بسجناء رد بلوف، فسيبدو الآخرون كأنهم ملائكة.»

تنحنحت. «لو كان المكان بهذا السوء، لما اختارت الكنيسة أن تفتح الأبرشية هناك.»

«أشك، بأنني، بطريقة ما، السبب الذي يجعلك تقفزين في المجهول المدمر، لقد دافعت عني باستمرار أمام العالم كله، ولكن في النهاية، سأبقى دائماً، صاحب سوابق، وهذه هي الحبة المرة التي لم تقدري على ابتلاعها.»

«لا، يا لوك.» صرخت بشكل هستيري. «لا أريدك أن تفكر على هذا النحو.» وفي لحظة قررت أن ترمي بالحقيقة في وجهه حتى ولو أحرجتهما معاً في المستقبل، أما الآن فلا شيء يهم. «إن أصررت على معرفة السبب الحقيقي، فلأنه...»

«وفري مبرراتك لمن يؤمن بها.» قاطعها بقسوة. «قبل أن تقومي بأي عمل متهور يهز الأبرشية بكاملها ويقطع سير العمل فيها، دعيني أختفي من حياتك وأتركك كما وجدتك. أراك وقت التدريب... أيتها الراعية.»

غشى تفكير أندريا الظلام، عندما سمعت، سماعة الهاتف تعلق وتقطع عليهما الاتصال.

الفصل العاشر

«أندي؟ لقد استطعت أن أمنع كل من أراد مقابلتك، ولكن لديك زائر هذه المرة.»

رفعت أندريا وجهاً شاحباً إلى دوريس، سكرتيرتها، عندما سمعت صوتها. بعد أن أمضت ليلة عذاب في كتابة استقالتها، أخذها الشرود منذ دخولها المكتب في الصباح، في محاولة يائسة لتبعد عن ذاكرتها مخابرة الليلة الفائتة. «من يكون؟ هل تعرفين؟»

هزت دوريس برأسها. «لقد فضل أن لا يعطي إسمه. إذا أردت أن أخبره بأنك منشغلة، فسأفعل ذلك.» كانت دوريس تعرف أن علاقة لوك وأندريا قد انتهت وتطوعت لابعاد المترددين عليها طوال النهار.

نظرت أندريا إلى ساعتها بعينين متورمتين. إنها الساعة الثالثة والنصف، والتمرين سيبدأ عند الخامسة. ما يزال عندها جبل من الملفات عليها أن تجهزها حتى لا يرتبك بول بها عندما تغادر إلى الخلوة يوم الخميس.

«أعطني دقيقتين كي أنعش نفسي ثم أدخليه. ويا دوريس؟» توقفت المرأة الشقراء عند الباب. «أشكرك على كل ما فعلتِ من أجلي.»

ابتسمت دوريس متفهمة وعادت إلى مكتبها فيما التقطت أندريا حقيبتها. تأوهت عندما شاهدت انعكاس وجهها على الزجاج المؤطر والمعلق إلى الحائط. أسرعت بوضع أحمر

الشفاه، ثم وضعت قليلاً من المساحيق لتخفي احمرار أنفها، لم تستطع أن تفعل شيئاً لعينيها. كان شعرها الذي صففته على شكل كعكة فرنسية يبدو على الأقل مرتباً. أما بالنسبة لملابسها، فقد أتت إلى العمل وهي ترتدي ثياب التمرين، لأنه لم يكن بنيتها أن تقابل أحداً غير دوريس. جفلت عندما سمعت نقراً خفيفاً على الباب.

«الأخت مايرز؟»

«أجل، تفضل.» أعادت حقيبتها إلى الدرج واستعدت لتحية زائرها. عندما دخل تشارلز ريتش، لم تستطع أندريا أن تمنع نفسها من اطلاق صرخة اندهاش خافتة. أثارت رؤيته ثانية، في نفسها ذكريات المحاكمة المؤلمة.

كان مرتدياً ملابس وكأنه خرج لتوه من قاعة المحكمة، وبدا من ابتسامته الحائرة وكأنه يعكس انفعالاتها. «أنا متأكد، من أنني آخر من تتوقعين زيارة منه.» بدأ حديثه: «هل تسامحين لأن الأمر اختلط علي بين صوتك وصوت إيرين؟ كاد لوك أن يمزقني أشلاء لارتكابي هذه الغلطة، وأنا لا ألومه.» تبدلت ابتسامته إلى تعبير أكثر جدية. «كنت أخشى في ما لو أعطيت اسمي لسكرتيرتك، أن ترفضي مقابلتي، ولم أكن لأجازف بعدم رؤيتك؟»

لم تستطع أندريا أن تبقى مستاءة منه بعد هذا الاعتذار المخلص، برغم انها ما تزال تلومه قليلاً. كان جذاباً بقدر لوك ولكن على طريقته الخاصة. ولكن لماذا أتى؟ ما الذي يريده منها؟

«لا بأس، يا سيد ريتش. أستطيع التفهم بوضوح مثل هذا الخطأ تماماً.»

«هذا من كرم أخلاقك، يا راعية. ولكن خطأي غير مبرر. ما كان يجب أبداً أن أقفز إلى استنتاج وجود علاقة في ما بين لوك وإيرين. إنها واقعة في غرام لوك منذ مدة طويلة، ولكنه ليلة الاثنين أوضح لي تماماً... كما أوضح لها أيضاً... أنه لم يبادلها قط مشاعرها. تستطيع الاعتماد على صداقته ودعمه فقط ولا شيء أبعد من ذلك. وقد لمح لي بتعابير مبطنة ما معناه، أنه لن يغفر لي أبداً، في ما لو أن تدخلي جرح مشاعرك.» ضغط على شفتيه وأضاف: «لقد عرفت لوك مدة أطول من معرفتك به. وتعلمت عن خبرة، أن لوك يعني ما يقول.»

لو يعرف تشارلز كم أجادت تعلم هذا الدرس، منذ أن قابلت لوك في السجن. «عندما قادني لوك إلى البيت، يا سيد ريتش، أوضح لي كل ما يتعلق بإيرين. وكل شيء على ما يرام. أنا آسفة لأنك أخذت من وقتك الثمين كي تقطع كل هذه المسافة لتأتي إلى الكنيسة وتعتذر.»

«أنا أعلم أن ليس هناك من شيء يجري على ما يرام، وهو السبب الرئيسي الذي دفعني للمجيء.» أجابها بنبرة من يرافع في قاعة المحكمة. «اجلسي أيتها الأخت، أريد أن أخبرك عن أمر مهم.»

انتقلت أندريا بأفكارها، فوراً، إلى لوك، وشعرت بقلبها يسقط بين قدميها. «لقد حدث له مكروه ما، أليس كذلك؟» تساءلت منفعلة: «هل وقع له حادث طائرة؟»

تأمل للحظات ردة فعلها ثم قال: «لما تركته في البيت منذ ساعة، كان في حالة صحية شبيهة بحالتك الصحية في هذه اللحظة.»

www.BeautyEgy.com

شعرت أندريا بالارتياح عندما سمعت أن لوك بخير، ولم يسجل فكرها مغزى كلام تشارلز حتى ارتمت على مقعدها. واجتاحها شعور بالحرج، لأنها كشفت الكثير من مشاعرها لرجل هو الأقرب من لوك. «أرجوك.» تمتمت بعد أن تمالكت نفسها قليلاً: «تفضل بالجلوس.»

لوى شفتيه بمرح مما ذكرها مرة ثانية بلوك الذي يقوم بالحركة نفسها. لا تفوتهما ملاحظة أي شيء. انتصب في جلسته، واضعاً يديه بين ركبتيه، ونظر إليها ملياً، مما أشعرها وكأنها على كرسي الشهادة في المحكمة.

«قال لوك إنك ستغادرين المدينة وقد قبلت بمركز جديد في مكان آخر.»

قالت بصوت خالٍ من التعابير: «أعذرني، ولكني لا أرى ما علاقة مشاريعي بزيارتك، يا سيد ريتش.»

استرخى في جلسته وتفحصها بعينيه. «سيقتلني لوك لو عرف أني هنا، ولكن كان عليّ القدوم. ستتصدر وسائل الاعلام، يوم الأحد القادم، أخبار عن كيف أوقع لوك وأرسل إلى السجن لجريمة ارتكبها شريكاه.»

حدقت أندريا إليه غير مصدقة وهي تحاول استيعاب ما قاله لها. وظهر من ابتسامته العريضة، ارتياحه التام لما انتهت إليه هذه القضية.

«لقد عرفت ذلك، من البداية!» هتفت جزلة. نسيت كل شيء ونهضت عن مقعدها وهرعت حول الطاولة لتحتضن تشارلز، الذي كان قد نهض، هو الآخر، عن مقعده. وما أن احتواها بذراعيه حتى انخرطت بالبكاء. «لقد عرفت ذلك، بطريقة ما، في أعماق قلبي.»

وقفت على رؤوس أصابعها وقبلت خده. «أشكرك لكل ما فعلته لأجله.» قالت وهي لا تستطيع أن تمنع دموعها المنهمرة. هل تعرف أنه خلال مناقشة الحكم، طلبت من المحلّفين الآخرين النظر في احتمال أن يكون شريكاه كاذبين؟ ولكنهم رفضوا أن يصدقوا أن هذين الرجلين يمكن أن يشهدا زوراً.» شهقت ثانية. «لا بد أن هذا الفرج قد أسعد لوك كثيراً.»

ما أن نطقت بهذه الكلمات حتى تلاشت ابتسامته. أفلتها ببطء وسحب منديلاً من جيب سترته وناولها أياه كي تجفف دموعها. «من الغرابة أن لوك ليس سعيداً، ولذلك أتيت لمقابلتك.»

«أنا لا أفهم ذلك.»

«ولا أنا أيضاً، خاصة بعد أن شاهدت ردة فعلك الآن. حسب ما جاء في روايته، إنك تهربين منه لأنه صاحب سوابق في السجن. وهذا لا يبدو لي منطقياً، لأنك كنت طيلة الوقت تؤمنين ببراءته. سوف أتدخل، مرة ثانية، وأسألك عن السبب الحقيقي الذي يجعلك تغادرين البوكركي؟»

لم تتوقع أندريا أن تستجوب بهذا الاسلوب. عادت إلى طاولتها كي تكسب وقتاً للتفكير. لم يكن بنيتها أن تفصح بمكنونات قلبها وسبب معاناتها إلى أقرب صديق للوك... عدم تأكدها من مشاعر ونيات لوك، وإيمانها بأن الزواج بين علماني وراهبة مكرسة لا يمكن أن ينجح.

«إعادة تعيين الكهنة من وقت لآخر، هو من الأنظمة المعمول بها في الكنيسة.» أوضحت بصوت هادىء. «وقد عرض عليّ مركز مغرٍ.» أخفضت نظرها إلى قدميها. «أنا أعرف أن لوك يظن أن السبب هو سجله في السجن، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة.»

قال تشارلز بعد توقف قصير: «أنا أصدقك، ولن آخذ من وقتك أكثر من ذلك. حظاً سعيداً في مهمتك الجديدة. اسمحي لي أن أضيف، أنني أتمنى لو فكر الأحد عشر محلفاً الآخرون مثلك، خلال محاكمة لوك.»

ما أن ترك غرفة أندريا المتوترة حتى دخلت دوريس. «إنه رجل بهي الطلعة.» ضحكت وأضافت: «وأنا متحيزة لذوي الشعر الأحمر. ماذا كان يريد؟»

كانت أندريا مبتهجة، برغم معاناتها، إلى درجة، أنها أحست برغبة في أن تهتف بما انتهت إليه قضية لوك.

«هذا رائع.» تمتمت دوريس عندما أخبرتها أندريا. «والمذهل أنك كنت مؤمنة ببراءته. وكثيرون من أمثال توما... لا يصدقون حتى يروا... سيشعرون بالحرج الشديد عندما يعرفون أنه كان بريئاً طيلة الوقت. أندي، لقد لاحظت أنك كنت تتصرفين من دون أن تبالي بآرائهم. ولكن كلانا نعرف أن الأمر يختلف عندما أنت ولوك تتزوجان.»

«نتزوج...» شحب وجه أندريا. «سبق لي وأخبرتك عن الأسباب التي تجعل هذا الزواج غير ممكن. لقد انتهى كل شيء بيني وبين لوك.»

«دعيني أخبرك شيئاً، يا راعية.» قالت دوريس بنبرة جدية. «لقد تعلمت منك درساً لا ينسى. الايمان يسبق المعجزة. قد يبدو الماء معكراً. ولكن أعطيه قليلاً من الوقت ويتحول رقراقاً صافياً مثل ينبوع جبل. أسدي لي خدمة ولا تحضري للسفر إلى ألاسكا حتى الاسبوع القادم.»

التقطت أندريا أنفاسها. «ما الذي سيختلف في عدة أيام؟»

«لننتظر حتى يوم الاثنين، وعندها أنت أخبريني عن

الفرق.» أجابتها دوريس. «بالمناسبة، لقد وصلك طرد منذ عدة دقائق. إنه صندوق كرتون كبير، هل لي بفتحه؟»

«دعينا نفتحه معاً.» قالت وهي تعلم، أنه لم يكن بمستطاعها الاستمرار في العمل اليوم، خاصة أن موعد بدء التدريب قد اقترب. لحقت بدوريس إلى مكتبها. «ما الذي يجري هنا؟» تمتمت وهي تسحب عدداً من القمصان ذات اللونين الأبيض والأزرق. «أخبرنا المجلس في الاجتماع الماضي، أنهم لن يشتروا ثياباً مميزة للفريق لعدم وجود اعتمادات مالية، وعلينا أن ندبر أنفسنا بما نستطيع أن نجده.»

«وهذا يعني أننا حظينا بمحسن مجهول.» غمزت دوريس من قناتها. «كما تعرفين، يوجد شخص واحد عنده الدافع والامكانيات كي يجهز الفريق بهذه القمصان الفاخرة.»

أومأت أندريا ببطء، بالطبع، إن الشخص الذي تعنيه دوريس هو لوك. فكرت أندريا بسرها في لوك، لحظة وقع نظرها على الكنزات. «سيطير الأولاد من الفرح.» همست وهي تحس بحب هائل نحو الرجل الذي يخفي خلاف ما يظهر.

ستشعر الأبرشية كلها بالفخر من جراء هذه الألبسة.» أعادها تعليق دوريس إلى الواقع. «أتوقع أن كل أعضاء المجمع سيهتفون لك صباح الغد. هل سآخذ عطلة غداً؟»

«ما رأيك؟» ابتسمت أندريا. «ما رأيك لو ساعدتني في التوزيع؟» جمعتا القمصان واتجهتا إلى الملعب. وجدتا الجميع هناك ما عدا لوك وكاسي. حاولت أندريا أن تخفي خيبتها، ولكن لم يلاحظ أحد وجهها البائس، لأن عيونهم كانت مسمرة على القمصان.

علت فجأة صرخات الابتهاج وعمّت الفوضى بين الأطفال،

وهم يتدافعون عليها، وأخذوا يتبادلونها محاولين ايجاد القياس المناسب منها. ابتسمت دوريس لأندريا وعادت إلى مكتبها.

نتيجة لذلك، تحلق الأولاد حول أندريا، التي هزت برأسها قائلة: «لا شأن لي بتوفير هذه القمصان. إن الذي فعل لذلك هو مدربكم، واتمنى لو كان هنا كي يوزع القمصان عليكم بنفسه. ولكن، بما أنه ليس حاضراً، أريد أن أخبركم شيئاً. هيا اجلسوا لدقيقة.»

كان لنبرتها الجدية التأثير المطلوب، لأن الهدوء خيم فوراً على الملعب. أخبرتهم أندريا، عندما جلسوا، عن تبرئة لوك. وما أن أن تلفظت بهذه الأخبار حتى عمّ الفرح بينهم، فوقفوا يهللون ويهتفون.

«أنا أعرف تماماً كيف تشعرون.» قاطعت أندريا. «ولذلك، فدعونا نظهر للوك مدى امتناننا لكل شيء عمله لأجلنا، ونعطي أفضل ما عندنا في مباريات الغد. إذا قرر كاسي الذهاب مع والده...» تبادلت عيناها الاشارات مع عيني مات. «... فسوف يتوجب علينا اللعب بكل طاقاتنا ونتّكل على اللّه... ريتشي، ستكون المسؤول عن التدريب حتى حضور لوك.»

عادوا إلى التدريب، ولكن، قبل مضي وقت طويل، هرعت دوريس إلى الملعب وأخبرت أندريا أن باربرا في المستشفى مع والدتها، كي تتلقى أولى جلسات العلاج الكيميائي للسرطان. وهما تريدان أن تعرفا إن كان باستطاعة الراعية الذهاب إلى هناك كي تساعد بعد انتهاء المعالجة.

طلبت أندريا، مرة ثانية، من الفريق أن يستمع إليها وشرحت لهم سبب اضطرارها للذهاب. وانها في حال عدم رجوعها

للتدريب، ستلقاهم صباح الغد على ملعب الثانوية المركزية حيث ستجري مباريات الدورة. أومأ الأطفال برؤوسهم بحزن وتمنوا الشفاء لوالدة باربرا.

ذهبت إلى مكتبها وبدلت ثيابها الرياضية بثوب وحذاء كانت تحتفظ بهما من أجل طارىء كهذا، وضعت ياقة الكاهن حول رقبتها وارتدت سترتها، التقطت حقيبتها وأسرعت إلى سيارتها.

فيما كانت تنعطف نحو الطريق العام، نظرت في المرآة الخلفية وشاهدت سيارة ب أم ڤ خضراء تنعطف إلى داخل موقف السيارات.

لا شك أن لوك شاهد سيارتها. ظهرت نيته في البقاء خارج حياتها عندما لم يلحق بها أو يطلق بوق سيارته، كما كان يفعل في السابق وفي أحوال مشابهة. أرادت أندريا أكثر من أي شيء آخر، أن تتوقف وتعلمه عن مدى سعادتها لتبرئته ولتشكره على تقديمه القمصان للفريق. ولكن، بتجاهله لها، أوضح أنه لا يريد أن يكون له شأن معها بعد الآن. زادت من سرعة سيارتها وهي متجهة نحو المستشفى، وقد أرعبها الألم الذي أخذ يعتصرها. كيف لها أن تروح عن أي شخص آخر، وهي في الوقت نفسه تحتاج بيأس، لمن يروح عنها؟

«باربرا؟» قالت أندريا عندما التقتها في رواق الاستقبال.

«لم أكن أعتقد أن والدتك ستقبل تلقي العلاج الكيميائي.»

«وأنا فوجئت أيضاً، غيرت والدتي رأيها بعد زيارة هيلين سارجنت لها منذ بضعة أيام.» امتلأت عيناها بالدموع. «هل أنت من أرسل هيلين، يا أخت؟»

«أجل. لقد مرت فترة على هيلين وهي تتلقى العلاج الكيميائي، واعتقدت أنه ربما استطاعت اقناع زينا.»

«حسناً، لقد نجحت خطتك.» أجابت وهي تمسح الدموع عن وجهها. «أشكرك يا أختاه. لقد أكد لي الطبيب أن المرض سيتراجع حالما تبدأ العلاج. وهذا سينقذ حياتها!» أخذت أندريا بالأحضان. «أنا آسفة لازعاجك، ولكني أعرف أن حضورك سيعني الكثير لأمي.»

كان وجود أندريا مثل البلسم الشافي، واستطاعت أندريا أن تتناسى مشكلاتها. ابتهجت زينا لرؤيتها وارتفعت معنوياتها.

بقيت النسوة الثلاث في غرفة الانتظار قرابة نصف الساعة، ثم رافقتهما أندريا إلى سيارة باربرا. ووعدتهما بزيارة مطولة في شقتهما.

انطلقت أندريا بسيارتها نحو منزل كاسي، ولكنها لم تجد أحداً. عادت إلى الكنيسة، لعل لوك ما يزال هناك مع بعض لاعبي الفريق، ولكنها وجدتها مقفلة. غيرت ملابسها بسرعة واتجهت إلى شقتها وأخذت معها قميص اللعب ثم اتصلت بمات. ولكنه بدا أن لا أحد هناك أيضاً كي يرد على الهاتف. اكتفشت أندريا بعد أن خابرت عائلات خمس لاعبين، أن لا أحد منهم عاد إلى البيت بعد التمرين، من المؤكد أنهم ذهبوا مع لوك إلى مكان ما.

امتلأت بالحزن لأنه فاتها حضور الاجتماع الأخير قبل المباريات. رن جرس هاتفها أكثر من اثنتي عشرة مرة، وكل مرة كانت تعتقد أن المخابرة من أحد الأولاد، ثم يتبين لها، أنها مخابرة بشأن أعمال الأبرشية، في ما عدا بول، الذي يبدو أن دوريس أخبرته عن تبرئة لوك، والذي لن يستريح قبل أن يناقش الموضوع معها.

«كنت تعرفين من أعماق قلبك أنه لم يرتكب جريمة وتصرفت على هذا الأساس لتبعثي الأمل في رجل بريء. والنتيجة! أعطيت لوك حياة جديدة... وكذلك فريقنا للكرة الطائرة. إني أنتظر بفارغ الصبر مباريات الغد.» قال لها متحمساً.

«ولكن خسرنا أم ربحنا.» استطرد بول: «يجب أن تعرفي أن لجنة المساعدة ستقيم عشاء ليلة الغد على شرف الفريق.

«أعرف أنك ستغادرين إلى ألاسكا يوم بعد غد، ولكن أرجوك أن تحضري. وامكثي حتى تشاهدي البرنامج القصير الذي سيقدم بعد تناول العشاء. وجودك سيسر الجميع.»

«سأحضر يا بول، وشكراً.» لم تستطع قول أي شيء آخر، لأن العواطف المتضاربة كانت تتصارع في داخلها، وتثقلها بالآلام. ستصل بول رسالة استقالتها عندما تكون في الاجازة. وعندما تعود، ستضطر إلى مواجهة المجمع، وهو أمر، ليس عندها الاستعداد لمعالجته في الوقت الحاضر.

«ليبارككم الله جميعاً. وليربح الفريق الأفضل.»

ربح المباراة، لو كان كل أمر بسيطاً مثل ذلك، فكرت أندريا وهي تهم بالخلود إلى النوم. كانت تشعر بالندم كثيراً هذه الليلة، لأنها كانت تضع أمام كل أمر: «لو أنه فقط...»

وصلت أندريا، صباح اليوم التالي، إلى المدرسة الثانوية، وشاهدت لوك على الفور يقف بالصف مع المدربين الآخرين لتسجيل الفرق. قامته الفارعة، شعره الكثيف البني، والقميص الرياضي الأزرق، جعلت من الصعب على أحد أن لا يلاحظه.

أشاحت، مترددة، بنظرها عنه لتراقب الفرق الأخرى التي ملأت الممرات، تنتظر بدء المباريات. استطاعت بسرعة تمييز أفراد فريقها لأرتدائهم القمصان البيضاء ـ الزرقاء... أفضل

لباس بين الفرق! أخذت بتعدادهم ببطء، ولفت انتباهها رأس ذو شعر أشقر. رأس كاسي!

اقتربت منه وربتت على كتفه العريضة. ولما استدار ورآها علت وجهه ابتسامة صادقة.

«مرحباً يا أندي، لقد اعتقدت أني لن آتي.» شعرت بالحيرة وهي تشاهد السعادة الطافحة على وجهه.

«لم يجب عليك أن تبقى وتلعب المباراة عوضاً عن أن تذهب مع والدك. ليس هناك من مباراة أهم من التضحية الشخصية يا كاسي.»

نفض رأسه كي يرجع إلى الوراء الشعر المنسدل على جبهته. «كنت أعرف أن لوك يعتمد علي ولم أستطع أن أخيّب أمله بي أو أمل الفريق.»

«ولكنه لم يكن ليقبل بأن لا تذهب مع والدك.»

«أعرف ذلك. لقد أخبرني بذلك. ولكني أخذت قراري. وهل تعرفين ما حدث؟» نظرت أندريا إليه بتعجب فيما ترقرقت عيناه بالدموع. «قال لي، أخبر أباك إنه في اللحظة التي تنتهي بها الدورة سآخذك بالطائرة إلى مؤاب، حيث تبدأ من هناك رحلة الطوافات، وهكذا لن يفوتك شيء. قال إن رحلة الطائرة تستغرق ساعة ونصفاً. هل هذا الرجل معقول؟» ابتلع جاهداً وهو يحاول بصعوبة تمالك نفسه.

شعرت أندريا في هذه اللحظة، بحبها للوك أكثر من أي وقت مضى حدقت إلى كل ارجاء المكان ولكنها لم تره، وافترضت أنه ذهب إلى الملعب مع بقية أعضاء الفريق.

«اعترى والدي الصمت عندما أخبرته بما قال لوك.» قال كاسي: «وتخيلت أنه لا يريدني أن أذهب معه، بعد كل هذا

ولكنه، عوضاً عن ذلك، قال إذا كان لوك مستعداً ليفعل ذلك من أجل ابنه، فإنه على استعداد لدفع ثمن الوقود للرحلة. وقال أيضاً، إنه كان والداً سيئاً وكان يخشى، لو دعاني إلى رحلة نهرية معه، من قبل، أن أرفض.» استنشق الهواء بشدة. «من الآن وصاعداً، قال والدي، إننا سنقوم بنشاطات كثيرة معاً... ويريدني أن أزوره في العطلات في ولاية واشنطن.»

«أوه يا كاسي.» ولم تستطع نطق كلمات تعبر عن عمق مشاعرها.

«قال أيضاً إنه لولا أن مجموعته تحتاج إليه للمساعدة في تحضير الطوافة، لتخلى عن الرحلة وبقي كي يشاهد المباريات. وسوف ينتظرني في المطار الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم.»

امتلأ قلب أندريا بالشوق إلى درجة أنها اعتذرت منه وهرعت إلى غرفة الحمام. القت بالماء البارد على وجهها وتفحصت ربطة شعرها. شعرت بالانتعاش بعد خمس دقائق واستجمعت شجاعتها لمقابلة لوك.

اجتازت بتمهل الممرات المزدحمة إلى الساحة الكبيرة التي تحتوي على ستة ملاعب للكرة الطائرة. امتلأت المدرجات بالجماهير وأضيئت اللوحة الالكترونية وغمر أندريا حماس شديد.

وفي لمحة بصر عثرت على لوك ضمن أفراد الفريق الذين تحلقوا على أرض الملعب، يرمون الكرة في ما بينهم للتسخين. سمعت صوتاً يناديها فيما كانت تهرع صوبهم. عندما استدارت نحو مصدر الصوت، رأت بول ودوريس وبمعيتهما عشرات من أعضاء الأبرشية، وكان الجميع يلوحون

لها بتلهف. ابتسمت ولوحت بيدها لهم، ثم هرعت لتنضم إلى الفريق. أومأ لوك برأسه لها ببرودة.

«إنه لمن دواعي سرورنا أن تنضمي إلينا يا راعية.» تمتم لوك: «لو أتيت إلى بيتي مع بقية الفريق الليلة الماضية، لعرفت أنك ستبدئين الرمي إلى جانب كارلا في اللعبة الأولى.»

خشية من أن يلاحظ أحد الأولاد غضبها، حاولت أن تأتي ردة فعلها هادئة بقدر الامكان. «كان يجب أن أقوم بزيارة إلى المستشفى. وعندما رجعت إلى الكنيسة، اكتشفت أنك غادرت، ولم يكن لدي أي فكرة عن مكانك.»

«لو كنت تأتين إلى التمارين في الموعد المحدد، لعرفت أننا ذاهبون لمشاهدة أشرطة فيديو عن الكرة الطائرة في بيتي.»

شعرت بالنار تضرم في وجنتيها، وبدأت بالرد بكلام لاذع. لكن الحكم أطلق صفارة بدء المباراة. أخذ لوك مكانه على خط التماس، ومن ثم كابرت أندريا على جرحها وألمها وحولت غضبها إلى ضرب الكرة في كل ساعة تأتيها.

كانت أندريا متوسطة الطول ولكن بمساعدة لوك استطاعت أن تتعلم كيف تستغل قفزتها إلى أقصى الحدود. وللمرة الأولى، كانت تبتهج لقدوم الكرة ناحيتها. ويبدو أن غضب لوك أثار فيها روح تحد لم تكن عندها عندما كانت تتدرب.

ربحوا الشوط الأول. ولكن خلال وقت الاستراحة وفيما أعضاء الفريق يجهزون أنفسهم للشوط الثاني، أخبرهم لوك أن لا يصيبهم الغرور، لأن المباريات في أولها. أصغت أندريا *باهتمام لارشاداته واقتراحاته من دون أن تنظر إليه.*

ابتدأوا الشوط الثاني بخطة جديدة، وبرغم أن الفريق كان

جيداً، إلا أنه افتقر إلى استراتيجية واضحة. انتقل الفريق بسرعة إلى المقدمة. اكتشفت أندريا في لحظة غفلة، أن لوك يحدق إليها وفي عينيه نظرة إعجاب وتقدير. وفوجئت فقدت تركيزها على المباراة وفاتها رد الكرة، مما كلف فريقها نقطة. برغم ذلك ربحوا الشوط.

غضبت أندريا من نفسها لأنها فقدت التركيز، وكل ذلك لأنها أرادت رؤية لوك راضياً عن لعبها. أقسمت في نفسها على أن تتجاهله حتى نهاية المباراة، حتى ولو أدى ذلك إلى موتها.

سار الشوط الثالث على منوال الشوط الأول. لم يكن الفريق المنافس مستعداً مثل فريقهم. لما انتهى الشوط أسرع اللاعبون إلى صنبور الماء في الرواق ولحق بهم بول. احتضن كل لاعب في الفريق بمفرده. وضحكته تملأ وجهه. وجدوا صعوبة في ربح الشوط الرابع الذي أوصلهم إلى دور نصف النهائي. دعاهم لوك للتحلق حوله. «استمعوا لي بانتباه. لقد كنت أراقب الفريق الذي ستلاعبونه الآن. إنهم حسنون ولكن عندهم بضع نقاط ضعف. هيا إلى الملعب واسحقوهم.»

«سنفعل ذلك يا مدرب.» قال ريتشي، ثم اتجهوا نحو الملعب وأخذوا مراكزهم. بدأت أندريا الرمي، ثانيةً، واخترقت بسرعة الحلقات الضعيفة للفريق الآخر. وهكذا فعل مات، واستطاع الاثنان تسجيل عدد من النقاط التي في النتيجة ضمنت لهم ربح المباراة. نظرا إلى بعضهما البعض بسرور سرعان ما تلاشى عنها عندما همس لوك في أذنها: «لا تتفاخري كثيراً أيتها الأخت. الفريق الذي ستلعبون معه الآن لم يخسر أي مباراة،

مثلنا تماماً، وكما لاحظت ليس عندهم أي نقاط ضعف. سوف نستبدلك خلال هذه المباراة.»

ابتعدت عنه أندريا. كانت غاضبة ومتألمة، ولم تجرؤ على النظر إلى لوك، مخافة أن تقول شيئاً يحرج الجميع.

«هيا، تحلقوا حولي.» دعاهم لوك إلى توجيهات أخيرة. «هذه هي المباراة التي عملنا من أجلها وتدربنا يوماً بعد يوم. حان الوقت لنضع خطة السرعة موضع التنفيذ. لن نعطي الفريق الآخر فرصة للتفكير لأنكم سترددون الكرة بسرعة إلى درجة أنهم لن يعرفوا من أين تأتيهم الضربات. وهذا يعني التركيز، وأعني التركيز الكامل من جهتكم.» حملق لوك إلى أندريا وقال: «هل من أسئلة؟»

هز الجميع رؤوسهم نفياً وساروا إلى الملعب صفاً واحداً، وإلى المباراة النهائية. أطلقت الصفارة، وبدأت المعركة. لعب الفريق الآخر بشراسة ولكن تبين بعد عدة دقائق على بدء المباراة أن فريق أندريا يريد الحصول على البطولة بقوة أكثر. أبدع كاسي وتكهنت أندريا له بأن يصبح لاعباً في منتخب الجامعة التي سينتسب إليها. كانت المباراة من دون جدال مباراة كاسي. وقد أذهل الفريق الآخر بضرباته ورداته ولم يستطيعوا الصمود بوجهه.

«إن هذا النصر ليثلج القلب الرقيق لأي عذراء.» همست دوريس ممازحة في أذن أندريا. «أقدم لك التهانيء، يا راعية. كيف مازلت متماسكة تحت ضغط كل هذه الظروف؟» سألتها بدفء. ولكنها استدركت عندما لاحظت نظرة أندريا الشاردة. «أنا متأكدة من أن هنالك المزيد من الأحداث السعيدة.»

«أنت لا تستسلمين أبداً، أليس كذلك؟» أجابتها أندريا بصوت مرتجف.

«ليس عندما أكون على حق.» شدت على ذراع أندريا. «أراك الليلة خلال العشاء احتفالاً بالنصر.»

التحقت دوريس بالجموع فيما طلب المشرفون من الجميع الجلوس لتقديم الجوائز، خاصة الكأس الذهبية التي ستقدم للرابح وتزين خزانة العرض في الكنيسة.

استلمت الفرق، التي احتلت المراكز الثلاثة الأولى، الجوائز فيما علا التصفيق الحاد. وعندما أعلن عن فوز فريق أبرشية أندريا بالمركز الأول، هدر الملعب بالهتافات والصراخ والتصفيق. طلب من جميع لاعبي الفريق، بمن فيهم لوك وبول، التقدم إلى المنصة والوقوف وراء الميكرفون. ذكر المذيع اسماءهم الواحد تلو الآخر ثم جاء دور لوك لاستلام الكأس فاض قلب أندريا بالبهجة، عندما أعطى لوك الكأس لريتشي الذي حضن لوك، وتلاه كاسي وبقية اللاعبين وهم يظهرون تقديرهم للوك.

كانت أندريا حتى هذه اللحظة تتجنب النظر إليه. لكنها لم تستطع منع نفسها من التحديق إلى هذا الرجل الذي حول مجموعة من المراهقين إلى وحدة متماسكة ومنتجة.

عندما أدركت أنه يحدق إليها، تذكرت نظرته الغاضبة والمليئة بالحيرة التي رمقها بها يوم أدانوه في المحكمة. هل تشاهد الآن لمعان الألم نفسه في عينيه الداكنتين؟ لم تحر جواباً.

أخفضت رأسها وأخذت تصافح الكهنة الآخرين الذين اصطفوا للتحادث معها. عندما انتهت من تقبل التهانيء، نظرت

حول الغرفة واكتشفت أن كاسي، الذي أرادت توديعه ولوك قد غادرا القاعة.

أسرعت خارجاً ولكنها لم تعثر على سيارة لوك. مما يعني أن الاثنين ذهبا مباشرة إلى المطار. كان عليها الاسراع وإلا تأخرا بالوصول إلى مؤاب عند الثالثة بعد الظهر.

كانت معنوياتها مرتفعة لنصف ساعة خلت ولكن مباريات الدورة انتهت وخرج لوك من حياتها. إنه يعني دائماً ما يقول.

أشعرتها فكرة العيش من دونه، بأنها تسقط في فراغ عظيم. الأمر الذي أخافها جداً.

دخلت أندريا إلى القاعة الرياضية في الكنيسة عند الساعة السابعة وعشر دقائق مساءً. كان شعرها ينساب على كتفيها مثل غيمة في كل خطوة تخطوها.

تحلق معظم الموجودين حول مائدة الطعام المليئة بالطيبات، والتي حضرتها لجنة الانعاش. وضع في وسطها الكاس، كي يشاهدها الجميع، علقت على الجدران الرايات التي تتغنى بالنصر، وبدا أن جميع أعضاء الأبرشية قد حضروا للاحتفال.

تحلقت مجموعات من المراهقين وأهاليهم حول طاولة لوك، يتنافسون لجذب انتباهه لهم. تلت صلاة شكر بصمت، لرجوعه سالماً من رحلته إلى مؤاب. وكأنه أحس بها تنظر إليه، فقد رفع رأسه في اللحظة نفسها التي نظرت إليه. لن تراه ثانية بعد هذه الليلة، ذكرت أندريا نفسها، سعيدة لأنها أخذت وقتها في ترتيب هندامها على أفضل هيئة.

كانت قد ذهبت تتسوق، قبل مجيئها لحضور الاحتفال، بعدما أصبحت لا تتحمل البقاء بمفردها، فاشترت ثوباً حريرياً

أزرق اللون. لم يكن من عادتها أن تلبس هذا النوع من الثياب عندما تشارك بنشاطات الكنيسة، ولكن الليلة مختلفة وتريد التأثير على لوك، وفي الوقت نفسه تظهر بأناقة هادئة تليق بالكنيسة.

قطعت اتصال نظراتهما واتجهت إلى المائدة. أفسح لها بول مكاناً إلى طاولته. ملأت صحناً بالطعام وجلست بالقرب منه، مرتاحة لأن ظهرها إلى لوك. ومرتاحة لأنها مع بول، الذي يمكن أن يتفهم عدم رغبتها بالتكلم.

فوجئت أندريا قليلاً، عندما شاهدت هال تف يقف ليقوم بدور مقدم البرنامج. تنحنح أمام الميكرفون، مما ضخم الصوت وأضحك الحضور، بمن فيهم أندريا، التي قهقهت برغم ألم الرأس الذي كانت تعاني منه.

بدأ هال البرنامج بعبارات الشكر والتهنئة ثم طلب من بول أخذ المكان والتكلم وطلب من رئيس الفريق اعطاء كلمة موجزة.

عندما أنهى ريتشي كلمته، قال هال: «الآن، نريد أن نستمع إلى رجل الساعة. الرجل الذي جعل هذا الاحتفال ممكناً مدرب الفريق وصديقنا، لوك هاستينغز، تعال إلى المنصة.»

كان لوك مرتدياً بدلة يقترب لونها من لون ثوب أندريا، وأعطت أندريا انطباعاً، بأنه سيقابل امرأة ما بعد انتهاء هذا الاحتفال غمرتها موجة من اليأس وهي تتخيل وجوده مع امرأة أخرى.

تقدم لوك من هال بتمهل وأخذ الميكروفون من يده. خيم صمت من الحضور، كان متوقعاً.

بدأ كلامه: «لقد اشتركت في كثير من المباريات خلال

حياتي، وبعضها كان مثيراً جداً، ولكن فوز هذا اليوم تخطاها جميعها. لدى هذه الأبرشية أفضل الشبان من أي مكان آخر. أهنئكم وعائلاتكم جميعاً، ولمثابرتكم على حضور التمارين واتباع التوجيهات. لقد خرجوا من هذه الدورة أبطالاً عظماء. أليس كذلك؟»

لم يهدأ التصفيق إلا بعد وقت، فاستطرد لوك: «للأسف، لم يستطع كاسي أن يحضر هذا الاحتفال. لقد وصلني من مصادر موثوقة أن اتحاد الكنائس يحضر لدورة أخرى بكرة السلة في الخريف القادم. وقد أخبرني كاسي أنه سيشترك بهذه المباريات.» توقف لوك قليلاً، مبتسماً ثم أضاف: «وإذا أردتم المجازفة معي ثانية، فاني أقدم خدماتي كمدرب تحضيراً للدورة القادمة.»

أصمت الهتافات السمع. قفز جميع الأولاد، الواحد تلو الآخر، يدقون الأرض بأقدامهم ويصرخون: «نعم! نعم!» حتى تحولت الهتافات إلى أنشودة. وسرعان ما وقف الجميع. لم تستطع أندريا إدراك ما يدور في عقل لوك، ولكنها وقفت وهي تشعر أنها في غيبوبة.

اعتقدت أندريا عندما توقف التصفيق وجلس الجميع، أن لوك سيعود إلى مقعده ويترك بقية البرنامج إلى هال. ولكن لم تجر الأمور كما توقعت. أدار لوك رأسه نحوها، وأحست بشعور غريب، وكأنه وخز من قمة رأسها حتى أخمص قدميها.

«لقد ارتكب هال خطأ عندما قال، إني رجل الساعة. في الحقيقة، المجد يجب أن تحصل عليه امرأة الساعة، ملاكي ذو الشعر الأسود. وبالمناسبة، هذا ما أطلق على الراعية أندريا ما يرز.»

انفجر الجميع بالضحك وحملقوا إلى أندريا التي تلون وجهها باللون الأحمر. «من شاهد منكم المباريات هذا الصباح، سيوافقني على هذا الوصف. لقد صنعت العجائب على أرض المعـ.. ولولاها لما فزنا.»

علت الهتافات وربت بول على ذراعها بحنان. لم تستطع أندريا النظر إلى أي مكان. تمنت لو أنها تختفي، ببساطة.

«ليس كل منكم يعرف كيف تقابلنا، أنا وهي. وأعتقد أنه الوقت المناسب لاخباركم. إنها قصة عاطفية، بالفعل. خلال أيام المحاكمة المؤلمة، جلست مع المحلَفين الآخرين، تعاني مثلي تماماً، فيما تتوالى الأدلة الدامغة. شعرت بعاطفتها، برغم أننا لم نتبادل أي كلمة مع بعضنا البعض.

«عندما أتت إلى السجن، وأنا أخجل من ذكر ذلك، كنت قد فقدت الأمل في أن تكون لي حياة ثانية بعد اطلاق سراحي. اعتقدت أن اللّه الذي عبدته منذ الطفولة قد تخلى عني. وحينها ظهرت الراعية مايرز.»

خيم الصمت والسكون على جميع من في القاعة. وجلست أندريا لا تبدي حراكاً وكأنها مسحورة.

«وقفت أمامي المرأة الجميلة، التي استولى وجهها وعاطفتها على أحلامي، وكأنها رؤية. ظننت للحظة، أني كنت أحلم. عندما وضعت ذراعيها حولي، لتروح عني، شعرت أني ولدت من جديد. وأقسمت بأني سأتحامل على نفسي في السجن واستفيد من مدة حكمي.» تهدج صوته من الانفعال.

«وأقسمت أيضاً أن أحصل على حبها ولو تطلب الأمر صرف ما تبقى من حياتي في سبيل ذلك.»

تأوهت أندريا. انتصبت على قدميها، لا شعورياً، ونسيت الحضور.

«أنتم تعرفون باقي القصة. أتيت إلى الكنيسة وطلبت التطوع في أي شيء لأكون قريباً منها. نجحت خطتي، ووصلت الآن إلى نقطة اللارجوع. وبما أن أندريا أخبرتني أن الأبرشية هي عائلتها، وبول هو الأب الذي لم يكن لها قط. لذا فكّرت بأن أطلب منه الآن وهنا أمام الجميع السماح لي بأن أتخذ الأخت أندي زوجة لي، لامساكها بمعروف حتى الموت وما بعده.»

«لوك...» صرخت أندريا من أعماق روحها.

وقف بول، وابتسامة تغطي وجهه وتظهر سروره. أخذ بيد أندريا بين راحتيه.

«لوك، لقد عرفت أن أندريا واقعة في حبك منذ رجوعها من المحاكمة. لم أخبرها بذلك أبداً. وأنا الذي رتبت قصداً ذهابي إلى اليابان، كي تحل مكاني في الذهاب إلى السجن.»

فغرت أندريا فاها، ورمقها لوك بابتسامة مشرقة فيما استمر بول بالكلام.

«قررت، أنه إذا كانت مشاعرها حقيقية فلا شيء يضر بأن نساعد القدر. منذ ذلك اليوم كنت أصلي كي يتزوجا. عندما أتيت إلى مكتبي، يا لوك، بعد إطلاق سراحك، أدركت أن اللّه استجاب لصلواتي. باستطاعتك يا لوكاس هاستينغز الزواج من أندريا مايرز بمباركتي، وأنا متأكد، بمباركة جميع الحاضرين، أيضاً.»

بدأ الحضور بالتصفيق بهدوء وتحول إلى ما يشبه الايقاع الموسيقي، ثم خبا تدريجياً. «حبيبتي.» ناداها لوك «تعالي إلى المنصة.»

تسارعت نبضات قلبها، فهذه هي المرة الأولى التي يدعوها بحبيبتي. تقدمت أندريا نحوه وهي ما تكاد تحس بالأرض تحت قدميها. وضع ذراعاً حول وسطها عندما دنت منه، وحدق إلى عينيها مبتسماً.

«والآن، وبما أن بول أجاز لي.» قال لوك: «يجب عليك أن تتزوجيني.» ضحك الجمهور وهتف لهما. بدا لهم أنه واثق تماماً مما يقول ولكن أندريا لاحظت نظرة رجاء وخوف في عينيه الداكنتين، نظرة لم تشاهدها من قبل في عينيه. «هل هذا سيدعم طلبي؟»

مد يده في جيب قميصه، ولم تدرك إلا وقد وضع في اصبعها خاتماً من الماس. ثم قال والدموع تترقرق في عينيه، ما لم تحلم أندريا من قبل بسماعه: «توسلي لي بأن لا أتركك ولا أتراجع عن اللحاق بك، لأنه أينما ذهبت، سأذهب، وأينما سكنت، سوف أسكن، أهلك سيصبحون أهلي، وإلَهك إلَهي.»

أغرقت أندريا وجهها في كتفه.

«هل هذا يعني، نعم أم لا؟» انفجر الجمهور بالضحك لممازحة لوك، بعد توسله العاطفي لأندريا وسرعان ما تحلق الكثيرون حولهما، يتمنون لهما السعادة.

كانت دوريس الأولى في تقديم التهانيء. حضنتها بقوة وهمست بأذنها: «لقد أخبرتك أن المياه ستعود إلى مجاريها. أنا على استعداد لمساعدتك بترتيبات الزواج.»

«شكراً يا دوريس.» قالت أندريا بانفعال، وأرادت اضافة المزيد لولا مقاطعة هال لهما.

«لا شك عندي أنكما ستنهمكان كثيراً بالترتيبات، ولكن

تذكري أن الابرشية كانت، منذ زمن بعيد، بحاجة إلى مرشد جيد للشبان.»

«آمين.» ردد بول من خلفهم.

شد لوك على طرف أذن أندريا برقة. «ما رأيك يا حبيبتي؟»

رمقته بنظرة مفعمة بالحب. «هل هذا ما تريد عمله؟»

ابتسامته المشرقة جعلته يبدو أصغر سناً بعدة سنوات. «أنا أحب هذا العمل. لم يكن جدي يؤمن بالاجتماعات الدينية المنظمة أو جمعيات الشبان. ولذلك لم يتسن لي خلال فترة شبابي المشاركة بهذه النشاطات، قط.»

صافحه كل من بول وهال توقيعاً على اتمام الاتفاقية. وضع لوك ذراعه حول كتفيها، فيما كانا يهمان بالذهاب وقال: «حتى الآن كنت على استعداد للمشاركة على وقتك... إلى حد معين. أما الآن، فأريدك لنفسي. هيا بنا.»

أمسك بيدها وسحبها إلى الخارج، من دون أن يفسح لها مجالاً للتعليق. «إلى أين تأخذني؟» وسرعان ما تقطع تنفسها وهي تحاول مجاراة سرعته وهما يهرعان عبر الرواق.

«إلى مكان نستطيع الانفراد فيه. غرفة مكتبك تفي بالغرض.»

عثرت أندريا على مفتاح غرفة المكتب بعد جهد، فتحت الباب وما أن دخلا حتى تعانقا بشوق.

«كنت أشعر بأن شيئاً ما ينقصني طيلة حياتي، أشعر بفراغ وشوق إلى فارس أحلام لا اسم ولا شكل له حتى رأيتك يا لوك. منذ أن رأيتك للمرة الأولى، عرفت أنك أنت من أبحث عنه ليكون شريك حياتي وحبيبي وصديقي. حمداً لله على أن بول أرسلني إلى السجن بدلاً منه. أحبك يا لوك وسأكرس حياتي كي

أنسيك ما مررت به.» تمتمت أندريا، يكاد أن ينقطع تنفسها.

أحست أندريا بروحها تكاد أن تخرج من جسمها عندما رد عليها بعناق شديد وقال: «سأكون دائماً ممتناً لشريكي، لأن جشعهما أرسلني إلى السجن. لولا ذلك لما تسنى لي مقابلة المرأة التي قسمها القدر لي! حتى ولو عني ذلك خمس سنوات أخرى في السجن، فأنا مستعد للمرور في هذه المحنة، إذا عرفت أنني سأحصل عليك في النهاية. أحبك يا أندريا أكثر بكثير مما تقدرين.»

«لقد... لقد اعتقدت أنني بعد الليلة، لن أراك ثانية.» قالت أندريا. «ولم أكن لأتحمل ذلك، ولذا قررت أن أحاول المستحيل كي أنسى.»

ربت لوك على كتفها وتنهد. «وتصرفي خلال المباريات لم يساعد بتغيير اعتقادك. أليس كذلك؟ ولكن عليك أن تفهمي، أنني كنت أخشى أن ترفضي الزواج مني.» توقف قليلاً ثم همس بصوت أجش. «أتسامحيني؟»

«أوه يا لوك، طبعاً أسامحك!» أجابته أندريا وانهمرت الدموع من عينيها.

«بالمناسبة.» قال وهو يضحك فجأة: «لقد طلبت من دوريس الغاء سفرك.»

جمدت وسألته: «متى فعلت ذلك؟»

بعد أن رجعت، أنا ومات من إيصال كاسي إلى مؤاب.

«مات؟» دار رأسها وهي تحاول استيعاب ما ينطوي ذلك عليه.

عانقها واستطرد: «أجل، هذا صحيح. لم يتوسل لي كي آخذه معي من أجل نزهة طيران. كان دافعه الحقيقي هو

إخباري بأنك واقعة في حبي، ويجب عليّ أن أقوم بخطوة سريعة كي أمنعك من الرحيل إلى ألاسكا.»

«قال ذلك!» صرخت أندريا وأحتضنته.

«أنت لم تسمعي القصة كلها.» قهقه. «لقد أنبني بكلمات جارحة لأنني، حسب اعتقاده، أتلاعب بعواطفك. وطلب أن يعرف نواياي تجاهك.» تأوهت أندريا. «وقال، أيضاً، إنني إذا حقاً أحبك، فيجب أن أتقبل بأن أكون عضواً رسمياً في الأبرشية، مما يجعل حياتنا الزوجية سلسة وناجحة.»

«أوه، يا حبيبي، لا!»

«نعم، لقد أصبحت عضواً في الأبرشية، وكتمنا الأمر، أنا وبول عنك. لأني أحببتك وأردت الزواج منك، ونحن متساويان. لم أكن لأفرض نفسي زوجاً لك، وأنا في حكم، صاحب سوابق. أردت الانتظار حتى تظهر براءتي.» نظر إلى عينيها واستطرد: «لقد قال تشاك لي، إنني غبي لأني كنت أرفض حبك.»

ابتسمت أندريا وقالت: «لقد أعجبت به.»

«سندعوه وزوجته ستاسي، بعد انقضاء شهر العسل، للعشاء في منزلنا.»

«هل ستعود للعمل في مجال الأسهم؟»

«كلا، سأنشيء شركة خاصة للتمويل والاستثمار وأشرف على إدارتها من بعيد. فأنا أريد، بعد اسبوع، أن أصرف معظم وقتي معك ولمساعدتك في أعمال الخير.»

وقفت أندريا وكذلك لوك، بعد اسبوع، أمام مذبح الكنيسة، وكان بول يشرف على مراسم الزفاف، واختيرت دوريس لتكون اشبينتها. ارتدت أندريا فستاناً حريرياً أبيض ووضعت عقداً من اللؤلؤ حول عنقها.

امتلأت القاعة بأصدقاء العروسين وأعضاء الأبرشية، من جميع الأعمار. علت الابتسامات المشرقة وجوه الجميع، وتهامسوا عندما مرت من أمامهم.

شعرت أندريا أنها احتوت في قلبها كل السعادة والبهجة الموجودتين في العالم، عندما تلاقت عيناها وعيني لوك. لم تفارقها نظرته أبداً، وهو يشدها نحوه. كان يبدو جذاباً جداً، وهو مرتدياً البدلة السوداء ويضع وردة بيضاء في عروة السترة. كادت أن لا تستطيع منع نفسها من الارتماء بين ذراعيه.

انتهت مراسم الزواج بسرعة، وأعلن بول أنهما أصبحا زوجين. «لوك، باستطاعتك الآن تقبيل عروسك.»

علت تنهدات الحضور عندما احتضنها لوك وقبلها وشعرت أندريا أن القاعة تدور بها.

تمت

www.Reuting.com
Just Faith